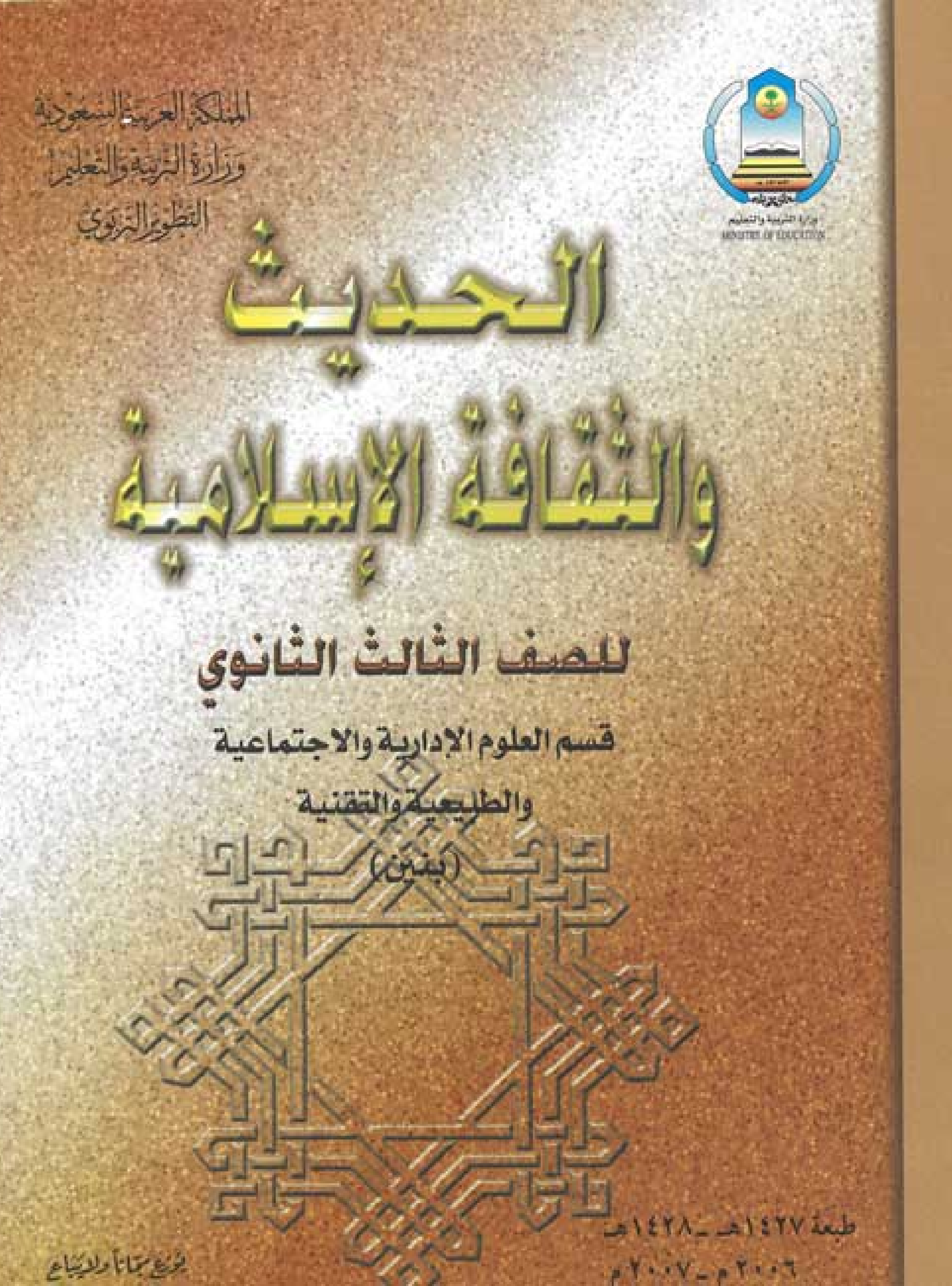


المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي
وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION
الحديث والثقافة الإسلامية
للصف الثالث الثانوي
قسم العلوم الإدارية والاجتماعية
والطبيعية والتقنية
(بنين)
طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م
توزع مجاناً ولا يباع

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

الحديث
والثقافة الإسلامية
للصف الثالث الثانوي
قسم العلوم الإدارية والاجتماعية
والطبيعية والتقنية
(بنين)

طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية، وزارة التربية والتعليم
الحديث والثقافة الإسلامية :للصف الثالث الثانوي
١٤٤ ص ؛ ٢١x٢٣ سم
ردمك : ٣ - ١٩٢ - ١٩ - ٩٩٦٠
١ ـ الحديث ـ كتب دراسية ٢ ـ الثقافة الإسلامية ـ كتب دراسية
٣ ـ التعليم الثانوي ـ السعودية ـ كتب دراسية. أ ـ العنوان
ديوي ٢٣٠، ٧١٢ ١٩ / ٢١٢٦

رقم الإيداع : ١٩ / ٢١٢٦
ردمك : ٣ - ١٩٢ - ١٩ - ٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فحافظ عليه
واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه...

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر
العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به...

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

الإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa


بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إنَّ الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد :

فهذا المقرر الجديد لمادة الحديث والثقافة الإسلامية للصف الثالث الثانوي، قد توخَّينا فيه حسن العرض والترتيب، وسهولة العبارة، والاعتماد على المصادر الأصلية ما استطعنا، مع الاهتمام بتخريج النصوص والعزو للمراجع العلمية، ليتزود منها كلٌّ من المعلم والطالب، فما أصبنا فيه فمن اللّه وحده، وبتوفيق منه، وما أخطأنا فنسأل اللّه العفو والصفح عنه.

وختاماً نسأل اللّه تعالى أن ينفع به ويكتب له القبول، كما نرجو من زملائنا المعلمين والمربين ألَّا يبخلوا بما عندهم من آراء وملحوظات علمية وتربوية تسير بالمقرر قُدُمًا نحو الأفضل.

والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

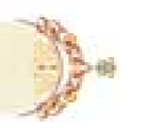


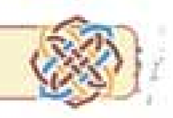
الفصل الدراسي الأول

أولاً : مصطلح الحديث



الحديث ومصطلحه





تعريف الحديث

لغـــة : يطلق على الخبر، وهو المناسب هنا للمعنى الاصطلاحي، كما يطلق على الجديد ضد القديم[1].

اصطلاحًا : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقِيَة أو خُلُقِيَة، وكذا ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي. وقد يطلق على الحديث : الخبر، أو الأثر.



تعريف مصطلح الحديث

علم بقواعد، يعرف بها أحوال السند والمتن، من حيث القبول والرد.

السند لغة : المعتمد، وسمي بذلك؛ لأن الحديث يستند إليه، ويعتمد عليه.

اصطلاحًا : سلسلة الرواة الموصلة للمتن.

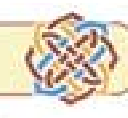
المتن لغة : ما صلب من الأرض وارتفع.

اصطلاحًا : ما انتهى إليه السند من الكلام.



تعريف الحديث

موضوعه : السند والمتن، من حيث القبول والرد.



ثمرته

تمييز الأحاديث المقبولة فيعمل بها، والمردودة فلا يعمل بها.

---

(١) القاموس، مادة (حدث)، والمختصر في علم الأثر، للكافيجي ص ١١٠ (ضمن رسالتين في المصطلح).





غاية علم المصطلح

قد أقيم بنيان علم مصطلح الحديث لغاية عظيمة جليلة، هي حفظ الحديث النبوي من الخلط فيه أو الدس والافتراء عليه، وهذه الوظيفة غاية في الأهمية، وهي تشتمل على فوائد لها أهميتها الكبيرة، منها :

١ ـ أنه تم بذلك حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل، فقد نقلت الأمة الحديث النبوي بالأسانيد، وميزت صحيحه من سقيمه، ولولا أن الله هيأ للأمة الإسلامية هذا العلم لَالْتَبَس الحديث الصحيح بالضعيف والموضوع، ولَاخْتَلَط كلام رسول الله ﷺ بكلام غيره.

٢ ـ أنه بواسطته يتم استنباط الأحكام مما يصح من السنة.

٣ ـ أنه بواسطته يتم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ.

٤ ـ أن قواعد هذا العلم تجنب المسلم خطر الوعيد العظيم الذي يقع على من تساهل في رواية الحديث، قال ﷺ : «من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1]، وقال ﷺ : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»[2].

٥ ـ أن لهذا العلم فائدة عظيمة في تنقية وصيانة الأذهان من الخرافات والإسرائيليات التي تفسد العقائد والعبادات، وتفتّ في عضد الشعوب، وتمزّق الأمة، إذ تجعلها فرقًا وأحزابًا، لا تميز بين الحق والباطل، فيسهل انقيادها لكل ناعق يدعو إلى الضلال[3].



الإسناد خاصية لهذه الأمة

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه، وذلك يستلزم حفظ ما يفسّره، وهو الحديث النبوي، ولأجل هذا هيأ الله لهذه الأمة رواة عدولًا، نقلوا هذا الدين جيلًا بعد جيل، فحفظوا على الناس دينهم، وقد

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ٩، عن سمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، من حديث المغيرة، في ٥/ ٣٦، وأخرجه ابن ماجه ١/ ١٤ ح (٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١)، من حديث علي بن أبي طالب، وسمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة.

(٢) يأتي تخريجه في المتواتر، إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر للاستزادة : منهج النقد في علوم الحديث ص ٣٤، ٣٥، وأصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص ١٠ .

قاموا بجهود عظيمة في نقله وتمحيص مرويّاته منذ عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فمن بعدهم، حتى تكامل تدوين حديث الرسول ﷺ بطرقه التي روي بها، كما دُوِّن مصطلحه على أدق منهج يمكن أن يوجد للتثبت من النصوص المروية وتمحيصها.

وقد نبه الأئمة على أهمية السند منذ صدر الإسلام، لأنه عن طريقه نقلت مصادر الشريعة، فهذا الإمام محمد بن سيرين، أحد أئمة التابعين يقول: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[1].

وقال سليمان بن موسى: قلت لطاوس: ـ وهو أحد أئمة التابعين ـ: إن فلاناً حدثني بكذا وكذا، قال: «إن كان صاحبك مَلِيًّا فخذ عنه»[2].

وقال عبدالله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء[3].

والإسناد من خصائص هذه الأمة الإسلامية، قال أبو حاتم الرازي: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار نبيهم وأنساب سلفهم إلا في هذه الأمة»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإسناد من خصائص هذه الأمة»[5].

الأسئلة

س١: عرّف الحديث اصطلاحًا، ثمّ عرّف مصطلح الحديث.

س٢: يقول العلماء: (الإسناد من خصائص هذه الأمة) وضّح ذلك.

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٤، وابن أبي حاتم في تقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٥.

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٥.

(٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٥، والترمذي في العلل من جامعه ٥/ ٧٤٠، وابن أبي حاتم في تقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٦، وللاستزادة من أقوال أئمة الحديث في التنبيه على أهمية الإسناد، انظر: ١ ـ مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٤ ـ ٢٩. ٢ ـ علل الترمذي مع شرحها، لابن رجب ١/ ٥٦ ـ ٦٢. ٣ ـ تقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ١/ ١٥ ـ ٢٣. ٤ ـ المجروحين، لابن حبان ١/ ٢٥. ٥ ـ الإسناد من الدين ص ٢٢ ـ ٣٤.

(٤) الإسناد من الدين ص ٢٢.

(٥) منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٧. وانظر كلاماً نفيساً لابن حزم في توضيح هذه الخصيصة لهذه الأمة ومقارنتها بالأمم السابقة في كتابه: الفصل ٢/ ٨١، ٨٢.

أقسام الحديث من جهة المسند إليه (المنقول عنه)

ينقسم الحديث من جهة المسند إليه إلى أربعة أقسام، هي : الحديث القدسي، والحديث المرفوع، والحديث الموقوف، والحديث المقطوع، انظر شكل رقم (١) ص١٤ .

١ . الحديث القدسي

ويسمى : (الحديث الرباني)، و(الحديث الإلهي).

تعريفه لغة : من القداسة، وهي الطهارة والنزاهة[1].

اصطلاحًا : ما رواه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى.

مثاله : حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2].

الفرق بين القرآن، والحديث القدسي، والحديث النبوي

١ ـ القرآن لفظه ومعناه من الله، ومتعبَّد بتلاوته، ومعجز بأقصر سورة منه، قد ثبت بالتواتر، فكله مقطوع بصحته، ويحرم على الجنب قراءته ومسّه، كما يحرم مسه على المحدث، ولا يجوز روايته بالمعنى.

٢ ـ أما الحديث القدسي، فلفظه ومعناه من الله، لكنه ليس متعبدًا بتلاوته، وليس معجزًا، ومنه الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع، ولا يحرم على المحدث ـ حدثاً أصغر أو أكبر ـ قراءته ولا مسّه، وتجوز روايته بالمعنى.

٣ ـ أما الحديث النبوي، فلفظه من الرسول ﷺ، وليس متعبدًا بتلاوته، وليس معجزًا، ومنه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، ولا يحرم على المحدث ـ حدثاً أصغر أو أكبر ـ قراءته، ولا مسّه، وتجوز روايته بالمعنى.

---

(١) انظر : القاموس المحيط، مادة (قدس).

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ ح (٢٩٨٥).



المؤلفات في الحديث القدسي كثيرة، ومنها

١ ـ الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، للمناوي، جمع فيه ٢٧٢ حديثاً قدسياً.

٢ ـ الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، لمحمد المديني، جمع فيه ٨٦٣ حديثاً قدسياً[1].

٢ ـ الحديث المرفوع

وينقسم إلى قسمين: مرفوع صريح، ومرفوع حكماً:

(أ) المرفوع الصريح:

وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف في خُلُقه أو خِلقَته.

فمثال المرفوع من القول: حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا»[2].

ومثال المرفوع من الفعل: ما رواه البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان ركوع النبي ﷺ وسجوده، وإذا رفع رأسه من الركوع، وبين السجدتين، قريباً من السواء»[3].

ومثاله من الإقرار: تقريره الجارية حين سألها: أين الله؟ قالت: في السماء، فأقرها على ذلك ﷺ[4].

ومثاله من الوصف في خُلقه: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وأشجع الناس» الحديث[5].

ومثاله من الوصف في خلقته: قول البراء ـ رضي الله عنه ـ: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنه خلقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير»[6].

---

(١) انظر للاستزادة: الأحاديث القدسية، د. عبدالغفور البلوشي، وقواعد التحديث للقاسمي ٦٤ ـ ٦٩، ومنهج النقد ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥، ومصطلح الحديث لابن عثيمين ص ٥، ٦، وأصول الحديث لمحمد عجاج ص ٢٨ ـ ٣٠، والحديث النبوي لمحمد الصباغ ص ١٣٢ ـ ١٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات ٢/ ١٠٨، ح ١٣٩٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع ١/ ١٩٣ ح ٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨٢ ح ٥٣٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، عن أنس، في كتاب الجهاد والسير، باب إذا فزعوا بالليل ٤/ ٤٧ ح ٣٠٤٠.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٤/ ١٦٤ ح ٣٥٤٩.

(ب) المرفوع حكماً :

وهو ما كان له حكم المضاف إلى النبي ﷺ، وهو أنواع، منها[1] :

١ ـ أن يضيف الصحابي شيئاً إلى عهد النبي ﷺ، ولم يذكر أنه علم به، كقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : «نحرنا في عهد النبي ﷺ فرساً فأكلناه»[2].

٢ ـ أن يقول الصحابي عن شيء بأنه من السنة، كقول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «من السنة أن يخفي التشهد»[3]، يعني في الصلاة.

٣ ـ أن يقول الصحابي : أمرنا، أو نهينا، أو أمر الناس، ونحو ذلك، كقول ابن عباس رضي الله عنهما : «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض»[4].

وقول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : «وُقِّت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»[5].

٣ ـ الحديث الموقوف

تعريفه : ما أضيف إلى الصحابة[6] ـ رضي الله عنهم ـ من أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم موقوفاً عليهم، لا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ.

والموقوف منه : الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع[7].

---

(١) انظر للاستزادة : نزهة النظر، شرح نخبة الفكر ص ٥٣ ـ ٥٥ .

(٢) رواه البخاري، في كتاب الذبائح والصيد، باب النحر والذبح ٦/ ٢٢٧ ح ٥٥١٠، ومسلم، في كتاب الصيد والذبائح، في أكل لحوم الخيل ٣/ ١٥٤١ ح ٣٨ .

(٣) رواه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب في إخفاء التشهد ١/ ٢٥٩ ح ٩٨٦، والترمذي في أبواب الصلاة، في باب أنه يخفي التشهد ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، ح ٢٩١، والحاكم ١/ ٢٣٠، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، و١/ ٢٦٧، ٢٦٨ وقال : صحيح على شرط مسلم.

(٤) رواه البخاري، في كتاب الحج، باب طواف الوداع ٢/ ١٩٥ ح ١٧٥٥ .

(٥) رواه مسلم : في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ١/ ٢٢٢ ح ١٥ .

(٦) الصحابة : جمع صحابي، وهو مَن لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

(٧) انظر : علوم الحديث، لابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص ٥١، وتدريب الراوي ١/ ١٤٩ ـ ١٥٦ .

أمثلة الموقوف :

(أ) من القـول : قول ابن عمر رضي الله عنهما : «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المسـاء، وخذ من صحتك لمرضـك، ومن حياتـك لموتـك»[1].

(ب) من الفعل : كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا قام له رجل عن مجلسه، لم يجلس فيـه[2].

٤ ـ الحديث المقطـوع

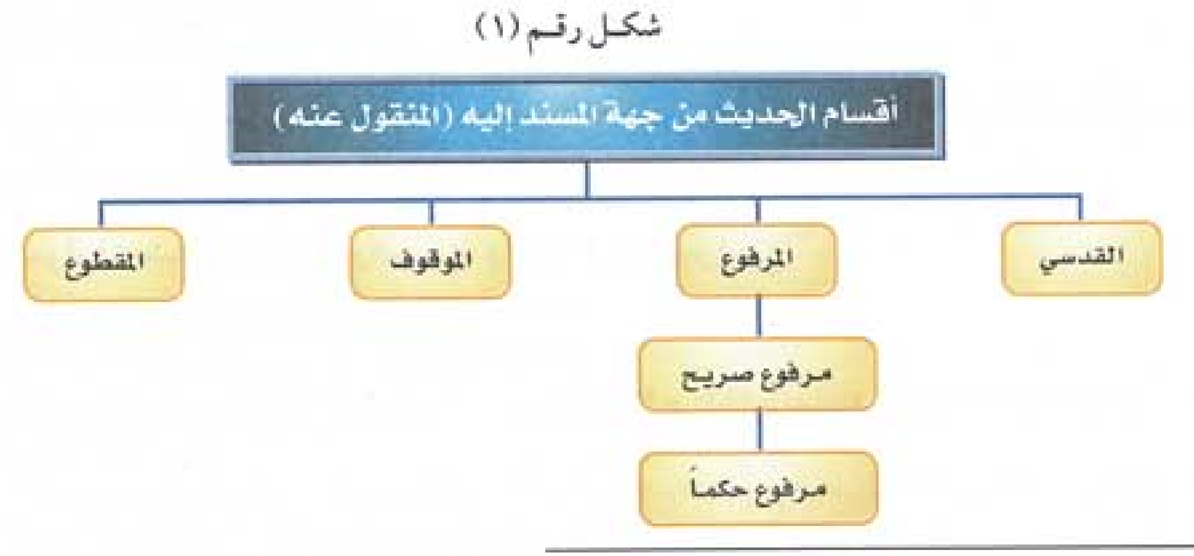
وجمعـه : المقاطع والمقاطيع، وهو : ما جاء عن التابعين[3] موقوفاً عليهم من أقوالهم وأفعالهم. وأدخل بعض أهل العلم في المقطوع ما روي عمن دون التابعين أيضاً.

والمقطوع منه الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع.

مثال الحديث المقطوع : عن ابن سيرين، قال : «إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[4].

مظان وجود الموقوف والمقطوع : كتب المصنفات، كمصنَّف عبدالرزاق، ومصنَّف ابن أبي شيبة.

شكـل رقـم (١)



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ٧/ ١٧٧ ح ٦٤١٦.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه ٤/ ١٧١٤ ح ٢٩.
(٣) التابعي : من لقي الصحابي مؤمناً بالنبي ﷺ، ومات على ذلك.
(٤) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٤.



الأسئلة

س١ : ما الفرق بين القرآن والحديث القدسي؟

س٢ : عرّف الموقوف، واذكر مثالًا عليه.

س٣ : متى يكون للموقوف حكم المرفوع ؟ ثم مثّل لما تقول.

أقسام الحديث من حيث القبول والردّ

ينقسم الحديث من حيث القبول والرد إلى قسمين :

الأول : حديث مقبول : وهو قسمان : حديث صحيح وحديث حسن.

الثاني : حديث مردود : وهو قسمان : حديث ضعيف، وحديث موضوع. انظر شكل رقم ٢ ص ٢٧.

وإليك تفصيل هذه الأقسام :

أولاً : الحديث المقبول، قسمان[١]

١ ـ الصحيح

الصحيح لغة : ضد السقيم.

اصطلاحًا : ما رواه عدلٌ، تامّ الضبط، بسند متصل، غير مُعَلّ، ولا شاذ.

شرح التعريف :

اشتمل هذا التعريف على خمسة شروط، إليك بيانها :

(أ) أن يرويه عدل، والعدلُ من الرواة مَن ثبتت عدالته، وهو : المسلم، البالغ، العاقل، السالم من أسباب الفسق وما يخل بالمروءة.

(ب) أن يتّصف راويه بتمام الضبط، والضبطُ : الحفظ، ويكون في الصدر باستحضاره متى شاءه، وفي الكتاب بصيانته منذ سماعه إلى حين أدائه منه.

(جـ) اتصال السند : وذلك بأن يكون كل راوٍ قد أخذ عمن قبله بطريق من طرق التحمّل الصحيحة[٢].

---

(١) هذا التقسيم إجمالي، وهناك تقسيم تفصيلي يراجع منه للاستفادة كتاب قسم العلوم الشرعية والعربية ـ الصف الثالث.

(٢) طرق التحمل ثمانية، منها : السماع من لفظ الشيخ، والعرض، وهو القراءة على الشيخ، والإجازة، وغيرها. انظر : نزهة النظر ص ٦٢ وغيره.

(د) ألّا يكون مُعَلًّا، والمُعَلّ : ما فيه علة، والعلة : سبب غامض خفي قادح في الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه.

(هـ) ألّا يكون شاذًّا، والشاذُّ : ما رواه المقبول مخالفاً من هو أرجح منه في الإتقان أو زيادة العدد[1].

وقولنا : ما رواه المقبول، شامل للراوي الثقة (وهو العدل الذي تم ضبطه)، كما يشمل الراوي الصدوق (وهو العدل الذي خفّ ضبطه قليلًا).

مثال الصحيح :

ما أخرجه البخاري في صحيحه[2] : حدثنا سليمان بن حرب، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار».

فهذا الحديث صحيح لتوفر شروط الصحة فيه، فالإسناد متصل، والرواة كلهم عدول، تامّي الضبط، وسَلِم من الشذوذ والعلة.

٢ ـ الحسن

الحسن لغة : ضد القبيح.

اصطلاحًا : ما رواه عدلٌ خفَّ ضبطه بسند متصل، غير مُعَلٍّ ولا شاذ.

الفرق بينه وبين الصحيح :

لو نظرنا إلى تعريف كل منهما لم نجد هناك فرقًا كبيرًا، بل نجد بينهما اتفاقًا في أربعة شروط، هي :

١ ـ اتصال السند. ٢ ـ عدالة الراوي.

٣ ـ السلامة من الشذوذ. ٤ ـ السلامة من العلة.

(١) للاستزادة انظر : علوم الحديث، لابن الصلاح ص ٧، ٨، ونزهة النظر ص ٢٩، وأصول الحديث ص ٣٠٥، ٣٠٦.
(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الإيمان، باب ما يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان ١/ ١٠، ١١ ح (٢١).



ويختلفان في أمر واحد، وهو الضبط، ففي الحديث الصحيح لا بد أن يكون كل راوٍ من رواته متصفًا بالضبط التام، أما في الحسن فلا يشترط تمام الضبط.

مثال الحديث الحسن:

ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن بهز بن حكيم، قال: حدثني أبي، عن جدّي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويلٌ له»[1].

فهذا الحديث سنده متصل، وقد سلم من الشذوذ والعلة، وكل رواته ثقات - أي: عدول تامّي الضبط - ما عدا بهز بن حكيم، فإنه قد خفّ ضبطه، ولذا فإن حديثه من قسم الحسن[2].

بمَ تعرف صحة الحديث أو حُسنه ؟

تعرف صحة الحديث بواحد من ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون في مصنَّف التُزِم فيه الصحة، إذا كان مصنفه ممن يعتمد قوله في التصحيح، كصحيحي البخاري ومسلم.

الثاني: أن ينص على صحته إمام يعتمد قوله في التصحيح والتضعيف، ولم يكن معروفاً بالتساهل فيه، كالإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله.

الثالث: أن يَجمع طرق الحديث، ويَنظُر اختلافها، ودرجات رواته - إذا كان من المختصين بهذا العلم - فإذا تمت فيه شروط الصحة الخمسة حَكَم بصحته[3].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٣، ٥، ٦، ٧.

(٢) انظر: للاستزادة: علوم الحديث على التقييد والإيضاح ص ٣، ٤، والنكت على ابن الصلاح ١/ ٣٨٥-٤٠٢، ومنهج النقد ص ٢٦٣-٢٦٧، والموقظة للذهبي ص ٣٢.

(٣) انظر: مصطلح الحديث، لابن عثيمين ص ٨.



الأسئلة

س١ : اذكر الفرق بين كلّ من :

(أ) الصحيح، والحسن. (ب) الشذوذ والعلة.

س٢ : اذكر شروط الحديث الصحيح، ومثّل له بمثال.

س٣ : مرّ بك حديث في كتاب لا تدري مدى صحته، فما السبيل إلى معرفة ذلك ؟



ثانياً : الحديث المردود

وهو قسمان : الضعيف والموضوع :

١ . الضعيف

الضعيف لغة : من الضعف، ضد القوة[1].

اصطلاحاً : ما فقد شرطاً فأكثر من شروط الحديث الحسن[2].

حكمه : الضعيف مردود، لا يعمل به.

أقسامه :

ينقسم الحديث الضعيف إلى أقسام كثيرة من أهمها ما يلي :

---

(١) القاموس، مادة (ضعف).

(٢) ينظر : شرح الألفية للعراقي ١/ ١١١ ، ١١٢، وفتح المغيث للسخاوي ١/ ٩٦، والنكت على ابن الصلاح ١/ ٤٩١، ومنهج النقد ص ٢٨٦ .



(أ) المرسل

تعريفه لغة : المطلق، وهو ضد المقيَّد، فكأن المرسِل أطلق الإسناد ولم يقيده براوٍ معروف.

اصطلاحًا : ما أضافه التابعي إلى النبي ﷺ بدون واسطة.

صورته : أن يقول التابعي : قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كذا، ونحو ذلك.

مثاله : ما رواه أبو داود في المراسيل، من طريق هشام بن عروة، عن أبي حازم، عن سعيد بن المسيب، قال : قال رسول الله ﷺ : «من ضرب أباه فاقتلوه»[1].

فهذا الحديث ضعيف؛ لأنه مرسل، ولذلك لا يعمل به.

وسبب كون المرسل ضعيفاً : أننا لا ندري عمن روى التابعيّ هذا الحديث، وهل هو عن ثقة أو غير ثقة.

فإن قيل : إن التابعي لا بد أنه رواه عن صحابي، والصحابة كلهم عدول، ولا يضر الجهل بالصحابي.

فالجواب عن ذلك أن نقول : ليس شرطاً أن يكون التابعي رواه عن صحابي؛ لأنه قد يرويه عن تابعي آخر، وهذا التابعي الآخر لا تعرف حاله، ثم إن التابعي الآخر قد يرويه عن تابعي، وهكذا، حتى إنه قد وُجد في حديثٍ ستةُ رجال من التابعين يروي بعضهم عن بعض[2].

المؤلفات في الحديث المرسل :

١ ـ المراسيل لأبي داود.

٢ ـ المراسيل، لابن أبي حاتم.

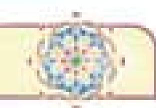
ويدخل في هذين الكتابين الحديث المنقطع؛ لأنهم قد يطلقون المرسل على كل ما فيه انقطاع.

٣ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي.

---

(١) المراسيل، لأبي داود ص ٣٣٥، في باب ما جاء في بر الوالدين.

(٢) انظر الحديث في سنن النسائي ٢/ ١٧٢، في كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد، وقد صنّف فيه الخطيب البغدادي جزءاً جمع فيه طرقه وألفاظه والخلاف فيه، يسمى : «حديث الستة من التابعين».



(ب) المنقطـع

تعريفـه لغـة : اسم فاعل، من القطع، ضدّ الوصل، وهو الفصل، وإبانـة شيء عن شيء[1].

وأما اصطلاحًـا، فلـه إطلاقـان : عـام، وخـاص :

أمـا العـام : فكل خبر لم يتصل إسناده، على أي وجـه كان انقطاعـه.

فعلى هذا يدخل فيه المرسل وأنواع أخرى[2].

وأما الخـاص : فكل خبر سقط من إسناده راوٍ واحد، في موضع واحد، أو أكثر، غير الصحابي وشيخ المصنف.

وسبب ضعفـه : الجهالة بالواسطة، وهو الراوي الساقط من الإسناد.

ومثـال المنقطع بالمعنى الخاص :

ما رواه ابن ماجـه، قال : حدثنا جعفر بن مسافر حدثني كثير بن هشام : حدثنا جعفر بن برقـان، عن ميمون بن مهران، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قـال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دخلت على مريـض فمره أن يدعو لك، فإن دعـاءه كدعاء الملائكـة»[3].

فهذا منقطع؛ لأن ميمون بن مهران لم يدرك عمر بن الخطاب؛ لأن مولده كان سنة أربعين، ومقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاث وعشرين.

٢ ـ المـوضـوع

تعريفـه :

لغــة : مأخوذ من الوضع، وله معانٍ، منها : الاختلاق[4].

اصطـلاحًـا : الخبر المكذوب على رسول الله ﷺ .

(١) معجم مقاييس اللغة ٥ / ١٠١، ومنهج النقد ص ٣٦٦ .
(٢) مثل : المعلق والمعضل.
(٣) ابن ماجه، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، ح (١٤٤١).
(٤) القـاموس، مادة (وضع).

التحذير من الكذب على النبي ﷺ :

ليس رسول الله ﷺ ـ فيما صدر عنه ـ كآحاد الناس، بل كل ما صدر عنه من قول أو فعل ونحوه، فهو مفيدٌ حكمًا شرعيًا، وذلك لأنه المبلغ عن الله تعالى بقوله وفعله عليه الصلاة والسلام، ولذلك فليس الكذب عليه كالكذب على غيره، وإن كان الجميع محرماً، وقد نبّه النبي ﷺ على ذلك فقال محذرًا ومتوعدًا : «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1].

فليحذر المسلم من ذلك أشد الحذر، وليجتنب الكذب على رسول الله ﷺ جاداً أو هازلًا، وليتثبت فيما ينسبه إليه ﷺ، فلا ينسب إليه قولًا بالظن والتخمين، وإنما ينسب إليه ما علم أنه قاله عليه الصلاة والسلام.

أسباب ظهور الكذب على النبي ﷺ [2]

لم يكن الكذب على النبي ﷺ معروفاً أول الإسلام، وإنما أدى إلى ظهوره ـ بعد ذلك ـ عوامل منها :

١ ـ الخلاف الذي دبّ بين المسلمين :

وانقسم الناس ـ بسببه ـ إلى فرق مختلفة، وظهرت العصبيات للفرق والبلدان والمذاهب والأجناس وغيرها، فراح بعض المنتسبين لهذه الفرق والمتعصبين لها يبحث عما يؤيد رأيه من النصوص، فإن لم يجد تجرّأ بالوضع على النبي ﷺ. ومن أمثلة ذلك الحديث الموضوع : «إن أبغض الكلام إلى الله تعالى الفارسية، ... وكلام أهل الجنة العربية»[3].

---

(١) رواه مسلم في مقدمته ١/ ١٠ رقم (٤).

(٢) ينظر في الموضوع : كتاب المجروحين، لابن حبان ١/ ٦٢ وما بعدها، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٥ وما بعدها، والنكت على ابن الصلاح ٢/ ٨٥٠، ومنهج النقد ص ٣٠٢، والسنة ومكانتها في التشريع ص ٧٨، وبحوث في تاريخ السنة ص ٢١، وكتاب الوضع في الحديث ١/ ١٧٣ وما بعدها.

(٣) الموضوعات ١/ ١١١.



٢ ـ العداء للإسلام، وقصد تشويهه :

وذلك أن بعض الزنادقة ـ من أبناء الأمم المغلوبة ـ اندسوا بين المسلمين، وراحوا يحاولون إفساد هذا الدين، من خلال وضع الأحاديث المتناقضة أو المستقبحة، وينسبونها إلى رسول الله ﷺ، ولذلك أمثلة كثيرة، منها :

الحديث الذي وضعه محمد بن سعيد الشامي ـ المصلوب بسبب الزندقة ـ : «أنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»[١]، والحديث أصله صحيح وإنما وضع فيه «إلا أن يشاء الله».

٣ ـ قصد الترغيب والترهيب لحث الناس على الخير :

وذلك أن قوماً من المنسوبين للزهد والتعبد؛ لما رأوا بُعد الناس عن الدين والقرآن حملهم جهلهم على وضع أحاديث ليرغبوا الناس ـ بزعمهم ـ في الخير، ويزجروهم عن الشر. وهذا النوع من الوضّاعين أعظم ضرراً من غيرهم، وسبب ذلك : أن الناس قد يقبلون موضوعاتهم ثقة بهم، لعدم توقّع الكذب منهم.

ومن أمثلة ذلك : أنا أبا عصمة نوح بن أبي مريم وضع حديثاً عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في فضائل القرآن سورة سورةً، فلما سئل : من أين لك هذا ؟ قال : إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[٢].

٤ ـ التوصل إلى أغراض دنيوية :

كتنفيق سلعة، أو لمصلحة خاصة بالواضع، أو تجميع الناس حوله وابتزاز أموالهم كما يفعله بعض القُصّاص[٣] والشحّاذين، وغير ذلك من الأغراض.

---

(١) تدريب الراوي ١/ ٢٤٠، والنكت على ابن الصلاح ٢/ ٨٥١ .

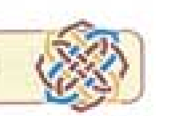
(٢) الموضوعات، لابن الجوزي ١/ ٤١ .

(٣) يُطلق القَصّ على الوعظ، يراجع فيه كتاب ابن الجوزي : القُصّاص والمذكرين، والمجروحين، لابن حبان ١/ ٨٥، وأحاديث القصاص، لابن تيمية، تحقيق الصباغ.



مثالـه : ما وضعه غياث بن إبراهيم حين أُدخِل على الخليفة المهدي، وكان المهدي يحب الحمـام، فإذا قُـدَّامه حمام، فقيل لغيـاث : حـدّث أمير المؤمنين، فقـال : حدثنا فلان عن فلان، أن النبي ﷺ قـال : «لا سَبق إلا في نصل، أو خف، أو حافر، أو جناح»[1].

وأصل الخبر مشهـور[2]، لكنـه زاد فيـه : (أو جناح) تقـرّبـا للخليفـة.



جهود العلماء في دفع الكذب عن حديث رسول الله ﷺ

قد هيأ الله تعالى الأسباب لحفظ السنـة، فسخر لذلك علماء جهابذة، قضوا جُـلَّ أوقاتهم في جمعها وحفظها وتدوينها والعنايـة بها، والبحث عن رواتـها، ونقد مروياتهم، وأوجدوا موازين يعرف بها صحيح الحديـث من سقيمه، فنشأ لذلك علم مصطلح الحديث بفنونـه المتنوعـة.

سئل ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ عن هذه الأحاديث الموضوعة، فقال : يعيش لها الجهابـذة[3].

وقال ابـن المبارك أيضاً : لو همّ رجل في السَّحَر أن يكـذب في الحديـث، لأصبح الناس يقولون : فـلان كذاب[4].

وقـال أبـو نعيم الفضل بن دُكَيـن : قـال سفيـان الثوري : من كذب في الحديث افتُـضِـح، وأنـا أقـول : من همَّ أن يكذب افتُـضِح[5].

وعن ابن عُلَيّـة، وإسحـاق بن إبراهيم، قالا : أخذ هـارون الرشيد زنديقاً، فأمر بضرب عنقـه، فقال لـه الزنديـق : لِـمَ تضرب عنقي ؟ قال : لأُرِيـح العباد منك، فقال : يـا أمير المؤمنين، أيـن أنت مـن

---

(١) المجروحين ١/ ٦٦، والموضوعات ١/ ٤٢، وقارن مع المنار المنيف ص ١٠٦ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢/ ٢٥٦ ، ٤٢٥ ، ٤٧٤، وأبو داود في الجهاد، باب في السبق والنسائي في كتاب الخيل باب السبق ٦/ ٢٢٦ رقم (٣٥٨٥) وما بعدهُ والترمذي في الجهاد باب ما جاء في الرهان والسبق ٤/ ٢٠٥ رقم (١٦٩٩) وقال : هذا حديث حسن.

(٣) تقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٨، والموضوعات ١/ ٤٩ .

(٤) الموضوعات ١/ ٤٩ .

(٥) الكفاية في علم الرواية ص ١١٧ ، ١١٨ .

أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم ؟! أحرّم فيها الحلال، وأحلّل فيها الحرام، ما قال النبي ﷺ منها حرفاً ! فقال له الرشيد : أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبدالله بن المبارك، ينخلانها نخلاً، فيخرجانها حرفا حرفاً[1].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : ولقد ردّ الله كيد هؤلاء الوضاعين والكذابين بأحبارٍ أخيار، فضحوهم، وكشفوا قبائحهم، وما كذب أحد قط إلا وافتضح[2].

ويمكن إجمال أهم ما قاموا به في الحفاظ على السنة، وإبعاد الدخيل عنها بما يلي :

١ ـ الرواية بالإسناد، والرحلة لأجله، وعدم قبول الأخبار غير المسندة.

٢ ـ تدوين الأحاديث، وجمعها في الكتب.

٣ ـ حفظ الأحاديث بأسانيدها، والمقارنة بين المرويات، حتى يتبين الصواب من الخطأ.

٤ ـ البحث عن أحوال الرواة، واختبارهم، وبيان الكاذب من غيره، ووضع ضوابط لمن تقبل روايته ممن لا تقبل.

٥ ـ حفظ الأحاديث الموضوعة، وتدوين الكتب فيها، والغرض من ذلك التحذير منها لئلا يظن مَن سمعها أنها صحيحة. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في وصف أئمة الحديث : الذين كانوا يتضلّعون من حفظ الصحاح، ويحفظون أمثالها، وأضعافها من المكذوبات، خشية أن تروج عليهم، أو على أحد من الناس[3].

ومن المصنّفات في الأحاديث الموضوعة :

(أ) الموضوعات، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.

(ب) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لمحمد بن أبي بكر الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، وفيه قواعد وضوابط مفيدة.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٢، وتهذيب التهذيب ١/ ١٥٢، في ترجمة أبي إسحاق الفزاري.

(٢) الموضوعات ١/ ٤٨.

(٣) مختصر علوم الحديث، لابن كثير (مع الباعث الحثيث) ص ٧٦.

(جـ) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي.

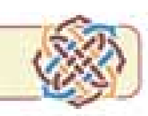
(د) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني.

٦ ـ وضع ضوابط يعرف بها الحديث الموضوع[1]، مثل:

(أ) اشتمال الحديث على مجازفات لا يقول مثلها النبي ﷺ كالحديث المكذوب: «من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له».

(ب) تكذيب الحسّ له، مثل ما روي: «الباذنجان شفاء من كل داء».

وليس تطبيق مثل هذه القواعد مشاعاً لكل أحد، بل هو خاص بمن له علم ومعرفة بحديث رسول الله ﷺ.



مصطلحات حديثيّة

١ ـ متفق عليه: ما رواه البخاري ومسلم، عن صحابي واحد، واتفقا في اللفظ أو المعنى.

٢ ـ رواه أهل السنن: المقصود بهم: أصحاب السنن الأربعة، وهم: أبو داود، والنَّسائي، والترمذي، وابن ماجه، وقد يقال: رواه الأربعة، والمقصود بهم أهل السنن هؤلاء.

٣ ـ رواه الثلاثة: هم أهل السنن ما عدا ابن ماجه.

٤ ـ رواه الستة: هم البخاري، ومسلم في صحيحيهما، وأهل السنن الأربعة.

٥ ـ رواه الخمسة: هم أحمد، وأهل السنن الأربعة.

٦ ـ رواه الجماعة: هم أصحاب الكتب الستة.

٧ ـ رواه السبعة: المقصود بهم: أحمد في مسنده، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة.

---

(١) ينظر في ذلك: المنار المنيف، لابن القيم ص ٤٣ وما بعدها، والنكت على ابن الصلاح ٢/ ٨٤٢ وما بعدها.



شكل رقم (٢)



الأسئلة

س١ : تشتمل العبارات التالية على بعض الأخطاء، أصلح ما فيها حتى تستقيم.

(أ) الحديث الضعيف ما فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث الصحيح، ومن أنواعه المرسل، والمرفوع.

(ب) من أهم المؤلفات في الحديث الموضوع كتاب المراسيل لأبي داود، ومن أهم المؤلفات في الحديث الضعيف كتاب المنار المنيف للإمام السيوطي.

س٢ : ما المراد بالحديث الموضوع ؟

س٣ : ما أسباب ظهور الوضع في الحديث ؟

س٤ : ما الفرق بين كل من :

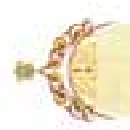
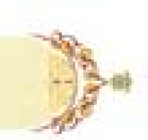
(أ) رواه الجماعة، ورواه الخمسة.

(ب) رواه الجماعة، ورواه السبعة.



ثانياً : الحديث الشريف



الحديث الأول

(١) عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال : «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟»[1].



التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل سمرة بن جندب الفزاري، يكنى أبا سليمان، وكان من حلفاء الأنصار، نشأ سمرة تقياً صدوقاً حافظاً، وطلب الشهادة في سبيل الله منذ صغره، حيث استعرض رسول الله ﷺ في بعثٍ غلمانَ الأنصار، فمر به غلام فأجازه في البعث، وعُرض عليه سمرة فردّه، فقال سمرة : يا رسول الله، لقد أجزت هذا ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال : «فدونكه»، فصارعه، فصرعه سمرة، فأجازه رسول الله ﷺ.

وكان سمرة من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ، يقول سمرة : لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً حدثاً، فكنت أحفظ عنه، وما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسنّ مني.

ونزل سمرة البصرة، وسكن بها، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، فيشتد سمرة على الخوارج، ويلجأون إلى الطعن فيه والنيل منه، وكان الحسن البصري وابن سيرين وفضلاء البصرة يثنون عليه، ويجيبون عنه. مات سمرة قبل سنة ستين[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ١٢/ ٤٣٨، برقم (٧٠٤٧)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ برقم (٢٢٧٥) وهذا لفظه.

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٣، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٦ .



المباحث اللغوية

هـل رأى أحد منكم البارحـة[1] رؤيـا

الكلمـة	معنـــاهـــا
هـل رأى أحد منكم البارحـة رؤيـا	الرؤيـا : ما يرى في المنام، وأما الرؤيـة : فهي النظر بالعين وبالقلب، وقد تجيء الرؤيا بمعنى الرؤيـة، كقولـه تعالـى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ... ﴾ الآية[2]، فإن المراد ما رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء من العجائب، وكان الإسراء في اليقظة.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ الرؤيـا ثلاثـة أنـواع :

(أ) الرؤيـا الصادقـة، مثل رؤيـا الأنبيـاء.

(ب) رؤيا فيها تهويـل وتلاعب من الشيطان بالمرء؛ كأن يرى أنه يسقط في وادٍ سحيق، ونحو ذلك، ويطلق عليها غالبـاً : الحلـم.

(جـ) رؤيـا ما يحدّث بـه المرء نفسـه أو يتمنـاه[3].

٢ ـ موقف الرائي مما يرى في منامه :

أولًا : إما أن يرى ما يسره ويفرحه، فليحمد الله تعالى، وليحـدِّث بها من يحب.

ثـانيـاً : وإما أن يرى ما يكره، وحينئذ يكون موقفه ما يلي :

(أ) ينفث عن شمالـه ثلاث مرات.

(ب) ويتعوذ باللـّه من الشيطـان.

---

(١) البارحـة : أقرب ليلة مضت.

(٢) آية ٦٠ من سورة الإسراء.

(٣) ينظر : البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب التعبير، باب التعبير في المنام (الفتح ١٢ / ٤٠٤)، حديث رقم (٧١٠١٧)، ومسلم مع شرحه للنووي، في أول كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٣)، وانظر أيضاً : كتاب الرؤيا، للشيخ حمود التويجري رحمه الله ص ٢١ ، ٢٢ .

(جـ) لا يذكرها لأحـد، فإنها لا تضره؛ لأنها من تلاعـب الشيطـان.

(د) أن يتحول عن جنبـه الذي كان عليـه. (هـ) أن يقـوم يصلي[1].

عن أبي سعيد الخـدري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيـا يحبها فإنما هي من الله، فليحمـد الله عليها، وليحدّث بـها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحـد، فإنـها لا تضره»[2].

وعن أبي قتـادة، قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيـا الصالحـة من الله، والحلم من الشيطـان، فمن رأى شيئاً يكرهـه فلينفث عن شمالـه ثلاثـاً، وليتعوذ من الشيطـان، فإنها لا تضـره، وإن الشيطان لا يتراءى بـي»[3].

٣ـ لا يجـوز لمن لم يفهم تعبير الرؤيـا أن يعبرها، فقد يعبرها خطأً ثم تقع؛ وقد قال النبي ﷺ: «الرؤيـا على رِجـل طائر ما لم تعبّـر، فإذا عبـرت وقعت»[4].

٤ـ لا يجـوز الكذب في الرؤيـا فيحدّث الناس بما لم يـرَ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من تحلّم بحلم لم يـره كلّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل»[5]، وتكليفـه بذلك نـوعٌ من التعذيب.

٥ـ قال بعض أهل العلم: تعبير الرؤيـا بعد صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقـات؛ لحفظ صاحبها لها لقرب عهـده بها، وقبل أن يعرض له نسيانها، ولحضور ذهن المعبر، وقلـة شغله بالفكرة فيما

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٤٥٨ وأدلة هذه المسألة مذكورة هناك وللاستفادة انظر فتح الباري شرح الحديث رقم (٦٩٨٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله ١٢/ ٣٦٩ برقم (٦٩٨٥)، وانظر شرحه للاستزادة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٦/ ٣٣٨، برقم (٣٢٩٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب أول الرؤيا، ٤/ ١٧٧١ برقم (٢٢٦١).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب باب ما جاء في الرؤيا ٢/ ٧٢٣، برقم (٥٠٢٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا ٤/ ٤٦٥ برقم (٢٢٧٨) (٢٢٧٩) وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه ١٢/ ٤٢٧ برقم (٧٠٤٢)، وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا ٢/ ٧٢٤ برقم (٥٠٢٤).



يتعلق بمعاشـه، وليعرف الرائـي ما يعرض له بسبب رؤيـاه فيستبشر بالخير، ويحـذر من الشر، ويتأهب لذلك، فربما كان في الرؤيـا تحذير عن معصيـة فيكف عنها، وربما كانت إنـذاراً لأمر فيكون لـه مترقباً، ولذلك كان رسول الله ﷺ يسأل أصحابـه بعد صلاة الصبح عـما رأوا[1].

٦- دل الحديث على أن الإمام يستقبل أصحابه بعد الانتهاء من الصلاة، ولا يستقبل القبلـة.



س١ : عَـدِّد أنـواع الـرؤيا.

س٢ : إذا رأيت ما يزعجـك في منامك، فمـاذا تصنع ؟

س٣ : اذكـر ثـلاث فوائـد من الحديـث.

(١) ينظر : فتح الباري ١٢/٤٣٩، ٤٤٠.

الحديث الثاني

٢ عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه البخاري ومسلم وأبو داود[1].

التعريف بالراوي

هو الخليفة الراشد، أمير المؤمنين، أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى، القرشي، العدوي، ولد قبل بعثة النبي ﷺ بثلاثين سنة، وكان قبل إسلامه شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر».

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ طويلاً، جسيماً، شديد الحمرة. سمّاه رسول الله ﷺ الفاروق؛ لأن الله فرق بإسلامه بين الحق والباطل، وإسلامه كان قبل الهجرة بخمس سنوات، وشهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ، وبويع بالخلافة سنة ثلاث عشرة للهجرة بعد وفاة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بعهد من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وفي عهده تم فتح الشام، ومصر، والقدس، والعراق، وهو أول من أرّخ التأريخ الهجري، وأوّل من دوّن الدواوين، وأول من اتخذ بيت المال للمسلمين، وكان يتفقد حاجات المسلمين بنفسه، وكان قوياً في الحق، وإذا مشى مع طريق فرّ الشيطان إلى طريق آخر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في مواضع منها أوّل حديث، ومنها في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ١/ ١٣٥، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة باب قول: إنما الأعمال بالنيات ٣/ ١٥١٥ برقم (١٩٠٧)، وأبو داود كتاب الطلاق، باب فيما عنى به الطلاق والنيات ٣/ ٢٦٩ رقم (٢٢٠١) وهذا لفظه.

دامت خلافته عشر سنوات، توفي شهيداً عام ٢٣ هـ وعمره ٦٣ سنة، رضي الله عنه وأرضاه[١].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
إنما الأعمال بالنيات	المراد بالأعمال هنا : جميع ما يعمله الإنسان.
والنيات	جمع نيّة، وهي في اللغة : الإرادة والقصد. **وفي الاصطلاح يراد بها معنيان :** **المعنى الأول** : تمييز المقصود بالعمل، أهو لله وحده لا شريك له أم لله ولغيره ؟ كالصلاة مثلاً، هل صلّاها العبد لله وحده ممتثلاً أمره، محباً له، راجياً لرحمته، خائفاً من عقابه، أم صلّاها رياء ؟ **المعنى الثاني** : تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات عن العادات كتمييز غسل الجنابة عن غسل التبرد والتنظف. **وقوله** : (إنما الأعمال بالنيات) هذا التركيب يفيد الحصر، أي : لا عمل إلا بنية.
امرئ	الامرئ : الرجل.
هجرته	من الهجر، وهو الترك، ضد الوصل، ثم غلب الاستعمال على الخروج من أرض إلى أرض. وفي الشرع : مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة، وطلباً لإقامة الدين.
دنيا	بضم الدال وكسرها، والضم أشهر، وسميت الدنيا بذلك؛ لدنوّها من الزوال، أو لسبقها الأخرى، والمراد هنا : ما يريده من أمور الدنيا من المال والجاه والمنصب وغيرها.
يصيبها	أي : يحصلها.

(١) ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٥١٨، وصفة الصفوة ١ / ١٠١، وفيه مؤلفات خاصة.

هذا حديث عظيم الشأن، جليل القدر، أصل من أصول الدين، ولذلك كثر كلام السلف الصالح في عظم شأنه، وبيان أهميته، يقول ابن رجب رحمه الله : «وبه صدّر البخاري كتابه الصحيح، وأقامه مقام الخطبة له، إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة».

وذُكر عن الشافعي ـ رحمه الله ـ قوله : «هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من الفقه». ونَقل عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قوله : أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث : حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ : «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث عائشة رضي الله عنها : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : «الحلال بيّن والحرام بين»[1].

ومن أحكام هذا الحديث وتوجيهاته ما يأتي :

١ ـ شأن النية عظيم وكبير، فلا يقبل العمل بدون نيّة خالصة، فالنية شرط لصحة الأعمال وقبولها، ولذلك أمر الله تعالى بإخلاص النية له سبحانه في جميع العبادات، قال تعالى : ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ...﴾ الآية[2]، وقال : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...﴾ الآية[3]. ولهذه النصوص وغيرها، فلا تصح الأعمال إلا بالنية، فمن صلّى لغير الله تعالى لم تقبل صلاته، ومن زكّى نفاقاً ورياء لم يقبل، وهكذا.

٢ ـ لقد اهتم السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ بأمر النية، فكانوا يحسبون لها حساباً كبيراً، نقل ابن رجب ـ رحمه الله ـ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : «لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له». وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة».

وعن داود الطائي قال : «رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية».

---

(١) تنظر هذه النقولات في : جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص١ .
(٢) آية ٢ من سورة الزمر. (٣) آية ٥ من سورة البينة.

وعن ابن المبارك رحمه الله: «رُبَّ عمل صغير تعظّمه النية، وربّ عمل كبير تصغّره النية»[1].

٣ ـ مما يفيده الحديث أنه ليس للإنسان إلا ما ينويه حتى العادات التي يقوم بها في حياته من الأكل والشرب والجلوس والنوم ونحو ذلك، تتحول بالنية إلى طاعة يثاب عليها العامل، فإذا أكل وكان أكله حلالاً ونيته إشباع نفسه والتقوّي به على طاعة الله تعالى كان مأجوراً على أكله، وهكذا فاللذائذ التي تشتهيها النفس إذا صاحبتها النية الصالحة تحولت إلى قربات، جاء في حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في أثناء كلامه ﷺ عن الصدقات، قال: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: «نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام يكون عليه وزر؟» قالوا: نعم، قال: «فكذلك إذا وضعها في حلال فله فيها أجر»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعله في فيّ امرأتك»[3].

٤ ـ قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» فيه دليل على وجوب الاعتقاد بالقلب، وأن الإيمان لا يكفي فيه مجرد النطق باللسان، فالإيمان، إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

٥ ـ مما يتضمنه الحديث الوعيد الشديد بأن من عمل عملاً لم يقصد به وجه الله تعالى أنه لا يثاب عليه، بل يرد عليه عمله، كأن يكون جاهد رياء أو أنفق ماله ليكسب سمعة، أو تعلّم ليقال عالم، أو قرأ القرآن ليقال: ما أحسن قراءته، فهؤلاء ونحوهم يبعثون على نياتهم، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[4]، وقال تعالى:

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم ص ٥ ـ ٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف ٢/ ٦٩٧ برقم (١٠٠٦)، وأخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الأذان، باب صفة الصلاة ٢/ ٣٢٥ برقم (٨٤٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ١/ ١٤٦ برقم (٥٦)، ورواه مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ٣/ ١٢٥٠ برقم (١٦٢٨).

(٤) آيات ١٥، ١٦ من سورة هود.

عن المصلين الذين يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝ ﴾[1].

٦ ـ الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام عمل جليل صالح، رغّب فيه الشرع وأكّد عليه؛ لما يتضمنه من حفظ دين العبد وعدم فتنته في دينه، وإقامة شرع الله عز وجل، فإذا قصد المهاجر وجه الله تعالى وما عنده أثيب على عمله الصالح، وإذا قصد أمراً دنيوياً كمالٍ أو زواج فلا يثاب على هجرته، وله ما نوى من أمور دنياه.

٧ ـ من معاني الهجرة هَجر الذنوب والمعاصي، كبيرها وصغيرها، وتركها بالكلية، وهذا مما يطالب به كل مسلم، وتركه لها يثاب عليه بحكم نيته الصالحة؛ لأن المؤمن إذا ترك شيئاً لله جازاه عليه، وعظّم له الأجر والثواب*.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالنية؟ ثم تحدّث عن أهميتها مستشهداً بأقوال بعض العلماء في ذلك.

س٢ : ضرب الأمثال أسلوب في التعليم، وضّح كيف استخدمه الرسول ﷺ في هذا الحديث.

س٣ : قارن بين مَن نوى جمع المال ليأكل ويشرب ويسكن، وبين من نوى من ذلك ليتصدق وينفق، متى يكون مأجوراً في الحالات السابقة ؟

س٤ : هل يثاب الإنسان على النوم ؟ وضّح ما تقول.

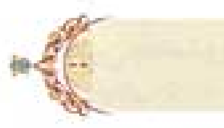
س٥ : المؤمن مطالب بترك المعاصي، كيف استفدت هذا من الحديث ؟

س٦ : اذكر ثلاثاً من الفوائد المستنبطة من الحديث.

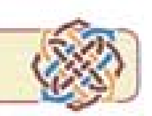
---

(١) آيات ٤ ـ ٧ من سورة الماعون.

* للاستزادة في أحكام النية ينظر : فتح الباري، شرح الحديث الأول من البخاري، وجامع العلوم والحكم، الحديث الأول، ومنتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال، للسيوطي، والأمنية في إدراك النية، للقرافي، والنية وأثرها في الأحكام الشرعية، للدكتور صالح السدلان، ومقاصد المكلّفين، للدكتور / عمر الأشقر.



الحديث الثالث



٣

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». متفق عليه[1].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل، سيّد الحفاظ الأثبات، أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، أرجحها أنه: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، أوّل سنة سبع. قال الذهبي: «حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لم يُلحق في كثرته».

ولم يروِ أحد عن النبي ﷺ أكثر منه؛ لملازمته له، فقد بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثاً.

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا. وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: «إنه لن يبسط

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ٣/ ٢٩٢ رقم (١٤٢٣) وفي كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ٢/ ١٤٣ رقم (٦٦٠)، ورواه مسلم، كتاب الزكاة ب، باب فضل إخفاء الصدقة ٢/ ٧١٥ برقم (١٠٣١).



أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول»، فبسطت نَمِرةً عليّ، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ شيء[1].

توفي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع وخمسين للهجرة[2].



المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
سبعة	هذا العدد لا مفهوم له، فقد وردت روايات أخرى تبين أن هناك من يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، غير هؤلاء المذكورين في الحديث.
يظلّهم الله في ظله	المراد به : ظل العرش، كما في رواية أخرى : «في ظل عرشه»[3].
يوم لا ظِلَّ إلا ظلّه	المراد : يوم القيامة.
إمام عدل	الإمام لغة : هو كل ما ائْتُمَّ به من رئيس وغيره. واصطلاحًا : كل من وكل إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والقضاة والوزراء وغيرهم. والعدل، ضد الجور، والعادل من حكم بالحق.
شاب نشأ في عبادة الله	خصّ الشاب بالذكر؛ لأنه مظنة غلبة الهوى والشهوة والطيش، فكانت ملازمته للعبادة مع وجود الصوارف أرفع درجة من ملازمة غيره لها.
اجتمعا عليه	أي : على الحبّ في الله، وتفرقا عليه كذلك، والمراد : أن الذي جمع بينهما المحبة في الله، ولم يقطعها عارض دنيوي، سواء اجتمعا حقيقة أم لا، فالرابط بينهما المحبة في الله حتى الموت.
ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال	دعته، أي : طلبته، ومنصب : المراد به : الأصل والشرف والمكانة، ويدخل فيه الحسب، والمراد أنها دعته إلى الفاحشة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع ـ باب ما جاء في قوله الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾، في ٤/ ٢٤٧ .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٦٢ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بإسناد حسن كما ذكره ابن حجر، الفتح جـ ٢ / ١٤٤ .

ورجل تصدق بصدقة	الصدقة : ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، سواء أكان فرضاً كالزكاة المفروضة، أم تطوّعا، ثم غلب استعمال الصدقة على صدقة التطوّع.
فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه	المراد بذلك المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله مع قربها من يمينه لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين؛ لشدة الخفاء.
خاليا	من الخلوّ، بحيث لا يكون عنده أحد، وإنما خُصّ بالذكر لأنه في هذه الحالة أبعد عن الرياء.
ففاضت عيناه	من الدموع، خشية لله عز وجل.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ من فضل الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الأعمال ينال صاحبها جزاء خاصًا؛ لتميزه بهذا العمل، وهذا فيه حثّ وترغيب في أمور كثيرة من الخير.

وهنا ذَكر الرسول ﷺ جزاء هؤلاء السبعة الذين تميّز كل منهم بميزة خاصة، وذَكَر هذا الفضل في أحاديث أخرى لغير هؤلاء السبعة، مثل : الغازي في سبيل الله، والذي ينظر المعسر، ومعين الغارم، وكثير الخطى إلى المساجد، وغيرهم، مما جعل أهل العلم يقولون إن العدد المذكور لا مفهوم له، فلا يراد به الحصر.

وقد تتبع الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ تلك الخصال، وأفردها في كتاب اسمه : (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال).

٢ ـ ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له أيضاً، إذ تدخل النساء معهم فيما ذكر إلا في موضعين، هما :

(أ) الولاية العظمى والقضاء، فالمرأة لا تلي المسلمين ولاية عامة، ولا تكون قاضية، لكن ينطبق عليها العدل فيما تصح به ولايتها، كمديرة المدرسة، ونحوها.

(ب) ملازمة المسجد؛ لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد وملازمتها للصلاة في أوقاتها مستترة في بيتها يبلغها هذه المنزلة. وباقي الخصال تدخل في المرأة.

٣ ـ لقد عظّم الشرع أمر العدل، سواء أكان في الولاية العظمى، أم فيما دونها من الولايات، حتى في أمور الإنسان الأسرية، كالعدل بين الزوجات، والعدل بين الأولاد، وغير ذلك، قال تعالى : ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ...﴾ الآية[١]، وقال ﷺ : «اتقوا اللّه واعدلوا بين أولادكم»[٢]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ...﴾ الآية[٣]، وقال ﷺ : «إن المقسطين عند اللّه على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[٤]. وذكر الإمام العادل في أول الخصال لعظم أمر الإمامة والعدل فيها.

٤ ـ مرحلةُ الشباب من أهم مراحل العمر، تقوى فيها العزيمة، وتكثر الآراء، وتمتلئ بالحيوية والنشاط، ولهذا من سلك منهج اللّه في شبابه، وغالَبَ هواه ونزواته، استحق تلك الدرجة العالية المذكورة في الحديث، ومما يعين الشباب على تحقيق هذه الخصلة :

(أ) طلب العلم والانشغال به.

(ب) تعويد النفس على استغلال الوقت بشتى الوسائل، كبرِّ الوالدين، وقضاء حوائجهما، وقراءة سيرة الرسول ﷺ، وسيرة السلف الصالح.

(جـ) مصاحبة الصالحين المستقيمين على منهج اللّه تعالى.

(د) محاولة استغلال فرصة الشباب بحفظ كتاب اللّه تعالى أو شيء منه.

٥ ـ المساجد بيوت اللّه، ومكان أداء العبادة المفروضة، وأنواع من العبادات المستحبة، وميدان العلم والتعلم، والمذاكرة والمناصحة، وكلها أعمال جليلة، يستحق الملازم لها ذلك الثواب العظيم، بالإضافة إلى أن المتعلق بالمسجد بعيد عن رؤية المنكرات، وقريب من اللّه سبحانه

---

(١) آية ١٥ من سورة الشورى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، ٥/ ٢١١، برقم (٢٥٨٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ٢/ ١٢٣٤، برقم (١٦٢٣).

(٣) آية ٩٠ من سورة النحل.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٣/ ١٤٥٨ برقم (١٨٢٧).

وتعالى، فيصفو قلبه، وتنجلي همومه وأكداره، ويعيش في روضة من رياض الجنة، وبذلك تكفر سيئاته، وتكثر حسناته.

والتعلق بالمساجد لا يعني الجلوس فيها جميع الأوقات، بل وقت دون وقت، لكن إذا خرج منها فإنه يحب الرجوع إليها، وإذا جلس فيها أنس واطمأن وارتاحت نفسه.

٦ ـ العلاقات بين الناس قائمة على أسس متعددة من مصالح مادية، وقرابة، وشراكة مالية، وتجانس خلقي، ونحوها، والإسلام يشجع قوة الترابط بين المسلمين على أساس من المحبة في الله، والقاسم المشترك فيها طاعة الله تعالى، ونصوص الكتاب والسنة تركز على هذا الجانب، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾ الآية[1]، ويقول تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، ويقول الرسول ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»[3].

٧ ـ للنفس البشرية رغبات وشهوات، وجه الإسلام لإشباعها بمنهج ثابت معلوم، والشيطان حريص على أن يميل الإنسان مع شهواته ويتبعها حتى يشاركه في الغيّ والضلال، ومما يميل إليه الرجل المرأة، فإن اتصفت بصفات الجمال والمنصب والحسب والشرف، كان إليها أكثر ميلًا، فإذا ما كانت الدعوة موجهة منها، مع الأمن من الخوف انساقت إليها نفس الرجل أكثر، وهنا يظهر داعي الإيمان عند المؤمن الصادق، فيقول: إني أخاف الله، فإذا قالها بلسان وصدّقها عمله، نال جزاءه العظيم المذكور في الحديث، وهكذا يريد الإسلام بأن يكون الرجال والنساء أعفاء شرفاء، بعيدين عن الفواحش والآثام والمحرمات، يراقبون الله سراً وعلانية.

---

(١) آية ١٠ من سورة الحجرات.

(٢) آية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٧١، برقم (١٠٥٣١)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٠، وصححه الشيخ الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة ٤/ ٢٠٦ برقم (١٧٢٨).

قال الشاعر :

وإذا خلوت بريبة في ظلمة	والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها	إن الذي خلق الظلام يراني

٨ ـ الصدقة مبدأ عظيم، وفضلها جسيم، وثمارها يانعة، في الدنيا والآخرة، لا تحصى النصوص في بيان فضلها وثوابها، ومضاعفة الأجر لصاحبها، وقربه من الجنة ورضا الله، وحجبه عن النار، يقول تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1].

الصدقة فاضلة سراً وعلانية، يقول تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾[2].

والأفضل في إظهار الصدقة أو إخفائها يختلفُ باختلاف الأحوال، فإن كان في إظهارها مصلحة فهو أفضل، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضاً ونفلاً.

٩ ـ ذِكْرُ الله تعالى من أفضل الأعمال، ومن أيسرها، ففيه ثناء على الله، وتمجيدٌ، وحمدٌ، وشكرٌ له بما هو أهله، واعتراف بالتقصير تجاهه، وإذا كان هذا الثناء والذكر بعيدًا عن أعين الناس، وأثّر في صاحبه خوفًا وخشية دمعت منها عيناه، أثابه الله تعالى على هذا الذكر الصادق الخاص بأن يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

١٠ ـ مما أفاده الحديث : إخلاص العبادة لله جل وعلا، فالأمر الجامع بين الأعمال المذكورة في الحديث إخلاصها لله سبحانه وتعالى، وتجريدها عن المقاصد الأخرى.

١١ ـ ومن الأمور الجامعة بين هذه الصفات أيضاً : الصبر والتحمّل، ولا شك أن طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة؛ لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى، فإذا جاهدهم وانتصر عليهم استحق الجزاء الأوفى.

(١) آية ٢٦١ من سورة البقرة. (٢) آية ٢٧١ من سورة البقرة.



١٢ ـ مما يرشدنا إليه الحديث أيضاً : أن يحرص المؤمن على أن يوجد له عملاً خفيًا لا يعلم عنه أحد من الناس؛ ليكون أبعد عن الرياء، وليتعود الإخلاص، فإن هذا مما يزيد ممارسته لتلك الأعمال الجليلة.



الأسئلة

س١ : قال الرسول ﷺ : «سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله» اشرح هذه العبارة.

س٢ : لِمَ بدأ بالإمام العادل ؟ وعلى من تطلق الإمامة ؟

س٣ : رجلان بينهما علاقة قوية، سببها الشركة المالية، كيف تقوّم هذه العلاقة ؟

س٤ : أنت شاب في مقتبل عمرك، ما طموحاتك في شبابك ؟ وكيف تحقق من خلالها الوصول إلى هذه الغاية المذكورة في الحديث ؟

س٥ : اذكر ثلاثا من فوائد الحديث.

س٦ : الإخلاص في العبادات والأعمال عامل مهم، كيف استفدته من الحديث ؟



الحديث الرابع

٤

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا : إن رجلًا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصمُ الآخر ـ وهو أفقه منه ـ : نعم، فاقض بيننا بكتاب الله وائذَن لي، فقال رسول الله ﷺ : «قُلْ»، قال : إن ابني كان عسيفًا على هذا، فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجمَ، فافتديت منه بمئةِ شاة ووليدةٍ، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلدُ مئةٍ وتغريبُ عام، وأن على امرأة هذا الرجمَ، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم ردٌّ، وعلى ابنك جلدُ مئة وتغريبُ عام، واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارْجُمْها»، قال : فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرُجمت. متفق عليه، واللفظ لمسلم[١].

التعريف بالراوي

أبو هريرة سبق التعريف به. أما زيد بن خالد الجهني فهو : صحابي جليل، شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، وحديثه في الصحيحين، مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ثمان وسبعين[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنى ١٢/ ١٣٦ برقم (٦٨٢٧)، ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ٢/ ١٣٢٤ برقم (١٦٩٧).

(٢) انظر : الإصابة ١/ ٥٦٥، وتقريب التهذيب ص ٢٢٣ .

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
أنشدك الله	أي : أسألك بالله.
إلا قضيت لي بكتاب الله	كتاب الله : القرآن الكريم، وقد يطلق على حكم الله مطلقاً، وهو المراد هنا، والمعنى : لا أسألك إلا القضاء بحكم الله.
عسيفا	بالعين والسين المهملتين، الأجير، وَزْنا ومعنى، ويطلق كذلك على الخادم والسائل. وسمي الأجير عسيفا؛ لأن المستأجر يعسفه في العمل، والعسف : الجور.
تغريب	من الغربة، وهي البعد عن الأهل والوطن، وفي حكمه السجن ولو في بلده.
الوليدة	الجارية الصغيرة.
ردّ	أي مردودة على صاحبها.
واغد يا أنيس	الغدو : هو الخروج أول النهار، ومقابله : الرواح، وهو التوجه نصف النهار، والمراد هنا : مجرد الذهاب.
وأنيس	تصغير أنس، وهو ابن الضحاك الأسلمي رضي الله عنه.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ الزنا كبيرة من كبائر الذنوب، وجريمة من الجرائم، وفاحشة نكراء، رتّب عليه الشرع حدًّا في الدنيا، وعقوبته في الآخرة، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[١].

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله، أي الذنب أعظم ؟ قال : «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»، قلت : ثم أيّ ؟ قال : «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»، قلت : ثم أيّ ؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك»[٢]، وأنزل الله تصديق قول النبي ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

(١) آية ٣٢ من سورة بني إسرائيل. (٢) أي : امرأته.

إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾»[1].

٢ ـ في الزنا هتك للأعراض، وخدش للعفّة، وإغضاب للخالق جل وعلا، ونفي للإيمان حال الزنى، وإلحاق العار بالزاني والزانية، واختلاط للأنساب، وفقدان للحياة، وإرضاء للشيطان، فلله الحكمة البالغة في تحريمه والتحذير منه.

٣ ـ لعظم جرم الزنى رتّب الشرع على الزاني حداً في الدنيا، فإن كان الزاني أو الزانية بكراً، كان الحدّ جلد مئة وتغريب عام، وإن كان الزاني أو الزانية محصنا فالرجم.

٤ ـ دلّ الحديث على أنه يكفي الإقرار بالزنا مرة واحدة لإقامة الحد، وهناك أحاديث أخرى تدل على أنه لابد من الإقرار أربع مرات، وهذا هو الأحوط والأولى، كما في خبر ماعز ـ رضي الله عنه ـ الذي أقرّ عند النبي ﷺ ولم يقم عليه الحد إلا بعد أن أقرّ في المرة الرابعة[2].

٥ ـ مما يستفاد من الحديث أن حال الزانيين إذا اختلفا أقيم على كل واحد حدّه؛ لأن العسيف ـ وهو بكر ـ جُلِد، والمرأة المحصنة رجمت.

٦ ـ الحدود في الشريعة الإسلامية محددة معلومة، إذا ثبت الجرم على صاحبها فليس لأحد تغييرها، ولا تقبل الفداء مهما كان المال، كما قال رسول الله ﷺ: «الوليدة والغنم ردٌّ عليك».

٧ ـ الأصل في المرأة أن تكون مستقرة في بيتها، ولا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة، ولذلك لم يطلبها الرسول ﷺ لتحضر، وإنما أرسل لها في بيتها من يسألها عما نُسب إليها.

٨ ـ يدل الحديث على جواز سؤال المفضول من أهل العلم مع وجود الفاضل، وسؤال الأدنى مع وجود الأعلى، فهذا الرجل سأل أهل العلم من الصحابة مع وجود الرسول ﷺ، ولم ينكر عليه الرسول ﷺ سؤاله لهم.

---

(١) آية ٦٨ من سورة الفرقان. والحديث رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ١٠/ ٤٣٣، برقم (٦٠٠١)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٩٠ برقم (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب لا يُرجم المجنون والمجنونة ١٢/ ١٢٠، برقم (٦٨١٥)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ٣/ ١٣١٨، برقم (١٦٩١).

٩ - الأصل في الأحكام هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما تفرع عنهما، ولا يجوز تركهما والحكم بخلاف ما دلّا عليه.

١٠ - القَسَم لا يشرع إلا إذا دعت الحاجة إليه، ولا مانع منه عند تعاظم الأمر ولو من غير استحلاف، فيقسم الرجل لتأكيد مطلوبه كما فعل النبي ﷺ.

١١ - يجوز الصلح بين المسلمين، بل هو فضيلة من الفضائل، ولكن لا يجوز بما يخالف الشرع، وإذا تم الصلح على خلاف الشرع فهو مردود.

١٢ - من الفقه في الدين حسن الأدب مع أهل الفضل والعلم واحترامهم وتقديرهم حتى حال السؤال والمناقشة والحوار.

١٣ - يدل الحديث على خلق الرسول ﷺ وعظم حلمه، حيث لم يعنف الأعرابي رغم جفاء أسلوبه وغلظة طريقته، وهكذا ينبغي على المفتي والعالم وطالب العلم والداعية والمربي أن يقتدي بالنبي ﷺ في حلمه وتحمله للجاهلين، وأن يعلمهم من غير تعنيف ولا تأنيب.

١٤ - يدل الحديث على جواز التوكيل ولو مع حضور الموكِّل، فلا يلزم غيابه.

١٥ - ينبغي للمستفتي أن يذكر كل ما له علاقة بموضوع سؤاله؛ لاحتمال أن يفهم المفتي أو القاضي من ذلك ما يستدل به على خصوص الحكم في المسألة، كقول السائل: إن ابني كان عسيفًا على هذا، وهو إنما جاء يسأل عن حكم الزنا.



الأسئلة

س١ : من المقاصد الشرعية الكبرى : حفظ الضروريات الخمس، حاول أن تذكرها جميعاً، موضّحا ما يدل عليه الحديث منها.

س٢ : لِمَ كان الزنى من أكبر الكبائر وأعظم الجرائم ؟

س٣ : يدعو الإسلام للستر على المسلم، كيف يدل الحديث على هذا ؟

س٤ : يحارب أعداء الإسلام تطبيق الحدود، كيف ترد عليهم ؟ وضح ذلك من خلال دراستك للحديث.

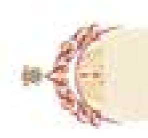
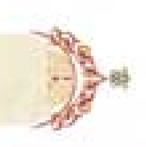
س٥ : اشرح الحديث بإيجاز، ذاكراً أربعاً من فوائده.



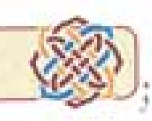


ثالثاً : الثقافة الإسلامية



الحجـــاب [1]



الحجـاب

بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهـدى وديـن الحق ليخرج الناس من الظلمـات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، بعثـه الله لتحقيق عبـادة الله تعالى وذلك بتمام الذل والخضوع لـه تبارك وتعالـى، بامتثال أوامره واجتناب نواهيـه، وتقديم ذلك على هوى النفس وشهواتـها. وبعثـه اللـه متممًا لمكارم الأخلاق داعيًا إليها بكل وسيلـة، وهادمًا لمسـاوئ الأخلاق محذرًا عنها بكل وسيلـة، فجاءت شريعتـه ﷺ كاملة من جميع الوجـوه، لا تحتاج إلى مخلوق في تكميلها أو تنظيمها فإنها من لدن حكيم خبير عليم بما يصلح عباده رحيم بهم.

وإن مـن مكارم الأخلاق التي بعث بها محمد ﷺ ذلـك الخلق الكريم، خلق الحياء الذي جعلـه النبي ﷺ من الإيمـان وشعبـة من شعبـه، ولا ينكر أحد أن من الحياء المأمور بـه شرعًا وعرفًا احتشام المـرأة وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عن مواقـع الفتن ومواضع الريـب، وإن مما لا شك فيه أن احتجابـها بتغطية وجهها ومواضع الفتنـة منها لهو من أكبر احتشام تفعلـه وتتحلى به لما فيـه من صونـها وإبعـادها عن الفتنـة.

ولنعلـم جميعًا أن احتجـاب المرأة عن الرجـال الأجانب وتغطية وجهها أمر واجب، دل على وجوبـه كتاب اللّه تعالى، وسنة نبيـه محمد ﷺ والاعتبار الصحيـح والقياس المطـرد.

١ ـ فمن أدلة القرآن الكريم

الدليل الأول :

قـولـه تعالـى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ

(١) ملخص من رسالة «الحجاب» للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى.



بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

وبيان دلالة هذه الآية على وجوب الحجاب على المرأة عن الرجال الأجانب من وجوه:

١ ـ إن الله تعالى أمر المؤمنات بحفظ فروجهن، والأمر بحفظ الفرج أمر به وبما يكون وسيلة إليه، ولا يرتاب عاقل أن من وسائله تغطية الوجه، لأن كشفه سبب للنظر إليها وتأمل محاسنها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ والخمار ما تخمر به المرأة رأسها وتغطيه به. فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها، كانت مأمورة بستر وجهها، إما لأنه من لازم ذلك، أو بالقياس، فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر، كان وجوب ستر الوجه من الباب أولى، لأنه موضع الجَمال والفتنة، فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لا يسألون إلا عن الوجه، فإذا كان جميلًا لم ينظروا إلى ما سواه نظرًا ذا أهمية، ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام إلا جمال الوجه، فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلبًا وخبرًا، فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه؟

٣ ـ إن الله تعالى نهى عن إبداء الزينة مطلقًا إلا ما ظهر منها وهي التي لابد أن تظهر، كظاهر الثياب، ولذلك قال: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ولم يقل إلا ما أظهرن منها، ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة إلا لمن استثناهم، فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزينة الأولى، **فالزينة الأولى** هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل أحد ولا يمكن إخفاؤها، **والزينة الثانية** هي الزينة الباطنة التي يتزين بها، ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الأولى، والاستثناء في الثانية فائدة معلومة.

(١) آية ٣١ من سورة النور.

٤ - إن الله تعالى رخص في إبداء الزينة الباطنة للتابعين غير أولي الإربة من الرجال، وهم الخدم الذين لا شهوة لهم، وللطفل الصغير الذي لم يبلغ الشهوة ولم يطلع على عورات النساء، فدل هذا على أمرين.

أحدهما : إن إبداء الزينة الباطنة لا يحل لأحد من الأجانب إلا لهذين الصنفين.

الثاني : إن علة الحكم ومداره خوف الفتنة بالمرأة والتعلق بها، ولا ريب أن الوجه مجمع الحسن وموضع الفتنة، فيكون ستره واجبًا لئلا يفتتن به أولو الإربة من الرجال.

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ يعني لا تضرب المرأة برجلها فيعلم ما تخفيه من الخلاخيل ونحوها مما تتحلى به، فإذا كانت المرأة منهية عن الضرب بالأرجل خوفًا من افتتان الرجال بما يسمع من صوت خلخالها ونحوه، فكيف بكشف الوجه.

فأيما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالًا بقدم امرأة لا يدري ما هي وما جمالها؟ ولا يدري أشابة هي أم عجوز ؟ ولا يدري أشوهاء أم حسناء ؟

أيما أعظم فتنة هذا أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل ممتلئ شبابًا ونضارة وحسنًا وجمالًا وتجميلًا، بما يجلب الفتنة ويدعو إلى النظر إليها.

إن كل إنسان له إربة في النساء ليعلم أي الفتنتين أعظم وأحق بالستر والإخفاء ؟؟

الدليل الثاني :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة، وتفسير الصحابي حجة، بل قال بعض العلماء : إنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وقوله - رضي الله عنه - ويبدين عينًا واحدة، إنما رخص في ذلك لأجل الضرورة والحاجة إلى نظر الطريق، فأما إذا لم يكن حاجة فلا موجب لكشف العينين.

---

(١) آية ٥٩ من سورة الأحزاب.

والجلباب: هو الرداء فوق الخمار بمنزلة العباءة، قالت أم سلمة - رضي الله عنها - لما نزلت هذه الآية: «خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها».

٢ - ومن أدلة السنة

الدليل الأول:

إن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد، قلن: (يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب فقال النبي ﷺ: «لتلبسها أختها من جلبابها»(١)).

فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب، وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج، ولذلك ذكرن - رضي الله عنهن - هذا المانع لرسول الله ﷺ حينما أمرهن بالخروج إلى مصلى العيد، فبين النبي ﷺ لهن حل هذا الإشكال، بأن تلبسها أختها من جلبابها، ولم يأذَنْ لهنَّ بالخروج بغير جلباب، مع أن الخروج إلى مصلى العيد مشروع مأمور به الرجال والنساء، فإذا كان رسول الله ﷺ لم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب فيما هو مأمور به، فكيف يُرَخّص لهن في ترك الجلباب لخروج غير مأمور به ولا محتاج إليه، بل هو التجوُّل في الأسواق، والاختلاط بالرجال، والتفرج الذي لا فائدة منه.

وفي الأمر بلبس الجلباب دليل على أنه لابد من التستر والله أعلم.

الدليل الثاني:

إن النبي ﷺ قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «يرخينه شبرًا»، قالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: «فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه»(٢).

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٢٣ ومسلم ٢/ ٦٠٦ واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي ٤/ ٢٢٣ وقال حسن صحيح.



ففي هذا الحديث دليل على وجوب ستر قدم المرأة، وأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب، فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم، وحكمة الشرع تأبى أن يوجب ستر ما هو أقل فتنة، ويرخص في كشف ما هو أعظم منه فتنة.

الدليل الثالث:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحْرمات مع رسول الله ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه»[1].

ففي قولها (فإذا حاذونا) تعني الركبان (سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها).

دليل على وجوب ستر الوجه، لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ وجب بقاؤه مكشوفًا حتى على الركبان.

وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم، والواجب لا يعارضه إلا ما هو واجب، فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب، ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن المرأة المحرمة تُنْهى عن النقاب والقفازين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

٣ ـ ومن أدلة القياس

الاعتبار الصحيح والقياس المطرد الذي جاءت به هذه الشريعة الكاملة: وهو إقرار المصالح، ووسائلها والحث عليها، وإنكار المفاسد، ووسائلها والزجر عنها، فكل ما كانت مصلحته خالصة راجحة على مفسدته، فهو مأمور به أمر إيجاب، أو أمر استحباب، وكل ما كانت مفسدته خالصة، أو راجحة على مصلحته فهو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه.

---

(١) رواه أبو داود ٢/ ١٨٧ ح ١٨٣٣.



وإذا تأملنا السفـور وكشف المـرأة وجهها للرجال الأجانب، وجدناه يشتمل على مفاسـد كثيرة، وإن قدر فيـه مصلحـة فهي يسيرة منغمرة في جانـب المفاسـد، فمن مفاسـده :

١ ـ **الفتنـة** : فإن المرأة تفتن نفسها بفعل ما يجمِّلُ وجهها، ويبهيه ويظهره بالمظهر الفاتـن، وهذا من أكبـر دواعي الشر والفساد.

٢ ـ **زوال الحيـاء عن المـرأة** : الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها، فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء، أشد حياءً من العذراء في خدرها، وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها، وخروج عن الفطرة التي خلقت عليها.

٣ ـ **افتتـان الرجـال بـها** : ولا سيما إذا كانت جميلة، وحصل منها تملق وضحك، وقد قيل : «نظـرة فسـلام فكـلام فموعـد فلـقاء».

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فكم من كلام وضحك وفرح أوجب تعلق قلب الرجل بالمرأة، وقلب المرأة بالرجـل، فحصل بذلك من الشر ما لا يمكن دفعه نسأل الله السلامـة.

٤ ـ **اختـلاط النسـاء بالرجـال** : فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجل في كشف الوجه، والتجول سافـرة، لم يحصل منهـا حيـاء ولا خجـل من مزاحمـة الرجـال، وفي ذلك فتنة كبيرة وفساد عريض، (وقد خـرج النبي ﷺ ذات يوم مـن المسجـد فاختلط النساء مع الرجـال في الطريق، فقال النبي ﷺ : «اسْتَأْخِرْنَ فإنـه ليس لكُن أن تَحْقُقْنَ الطريـق، عليكن بحافـات الطريق»، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها بـه)[1].

وجـاء في نيل الأوطار شرح المنتقى : (ذكر اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجـوه لا سيما عند كثرة الفساق).

٥ ـ **أدلـة المبيحين لكشف الوجـه** :

ولا يوجد لمن أجاز كشف الوجه والكفين من الأجنبية دليلًا من الكتاب والسنة سوى ما يأتي :

---

(١) رواه أبو داود ٤/ ٣٦٩ ح ٥٢٧٢ .



أولًا: قولـه تعـالـي: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[1] حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي وجهها وكفاها والخاتم، وتفسير الصحابي حجـة كمـا تقـدم.

الـثـانـي: ما رواه أبو داود في سننـه[2] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقـاق، فأعرض عنها وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يُرَى منها إلّا هـذا وهـذا، وأشار إلى وجهـه وكفيـه».

الـثـالـث: ما رواه البخـاري[3] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أخاه الفضل كان رديـفًا للنبي ﷺ في حجة الـوداع، فجـاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليـه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجـه الفضل إلى الشـق الآخـر، ففي هذا دليل على أن هذه المرأة كاشفـة وجهها.

الـرابـع: ما أخرجـه مسلم من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في صلاة النبي ﷺ بالناس صلاة العيد، ثم وعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال: («يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم» فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين...) الحديـث، ولولا أن وجهها مكشوف ما عرف أنها سفعـاء الخـديـن.

هذه هي الأدلـة التي يمكن أن يستدل بها على جواز كشف الوجه للأجانب من المرأة.

٦ ـ الـرد على هـذه الأدلـة:

ولكن هذه الأدلة لا تعـارض ما سبق من أدلـة وجوب ستـره وذلـك لوجهين:

أحدهـمـا: أن أدلة وجوب ستره ناقلـة عن الأصل، وأدلـة جواز كشفـه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مُقدَّم كما هو معروف عند الأصوليين، وذلك لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه، فـإذا وجـد الدليل الناقـل عن الأصل دل ذلك على طروء الحكم على الأصل وتغييره لـه، ولذلك نقول: إن مع الناقل زيـادة علم، وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي، والمثبت مقدم على النافي، وهذا الوجـه إجمالي ثابت حتى على تقدير تكافـؤ الأدلـة ثبوتًا ودلالـة.

---

(١) آية ٣١ من سورة النور. (٢) ٤/ ٦٢ ح ٤١٠٤. (٣) ٢/ ٥٥١.



الثـانـي : أننا إذا تأملنا أدلـة جواز كشفـه، وجـدنـاها لا تكافئ أدلـة المنع، ويتضح ذلـك بالجـواب عن كل واحـد منها بما يلـي :

١ ـ عن تفسير ابـن عباس ثـلاثـة أوجـه :

أحدهما : محتمل أن مُراده أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب.

الثـانـي : يحتمل أن مُـراده الزينـة التي نهى عن إبدائها، ويؤيد هذين الاحتمالين تفسيره ـ رضي الله عنه ـ لقولـه تعـالـى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ كما سبق في الدليل الثـانـي من أدلـة القرآن.

الثالـث : إذا لـم نـسلم أن مُراده أحد هذين الاحتمالين، فإن تفسيره لا يكون حجة يجب قبولها إلّا إذا لم يعارضه صحابي آخر، فإن عارضه صحابي آخر أخذ بما ترجحه الأدلة الأخرى.

وابـن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ قـد عـارض تفسيره ابـن مسعـود ـ رضي الله عنه ـ حيـث فـسـر قـولـه ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بالرداء والثياب، وما لابد من ظهوره فوجب طلب الترجيح والعمل بما كان راجحًـا في تفسيريهما.

٢ ـ وعن حديث عائشـة رضي اللـه عنها : بأنـه ضعيف مـن وجهيـن :

إحـداهـما : الانقطاع بين عائشة وخالد بن دريك الذي رواه عنها كما أعله أبو داود نفسه حيث قـال : خالـد بن دريك لـم يسمع عن عائشـة، وكذلك أعلـه أبـو حـاتـم الرازي.

الثـانـي : أن في إسناده سعيد بن بشير النصري نزيل دمشق، تركه ابن مهدي، وضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي.

وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يقاوم ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب.

وأيضًا فإن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ كان لها حين هجرة النبي ﷺ سبع وعشرون سنة، فهي كبيرة السن، فيبعد أن تدخل على النبي ﷺ بثياب رقاق تصف منها ما سوى الوجه والكفين، والله

أعلم، ثم على تقدير الصحة يحمل على ما قبل الحجاب، لأن نصوص الحجاب ناقلة عن الأصل فتقدم عليه.

٣ ـ وعن حديث ابن عباس: بأنه لا دليل فيه على جواز النظر إلى الأجنبية لأن النبي ﷺ لم يقر الفضل على ذلك، بل حرف وجهه إلى الشق الآخر، ولذلك ذكر النووي في شرح صحيح مسلم: بأن من فوائد هذا الحديث تحريم النظر إلى الأجنبية.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في فوائد هذا الحديث: وفيه منع النظر إلى الأجنبيات، وغض البصر.

فإن قيل: فلماذا لم يأمر النبي ﷺ المرأة بتغطية وجهها، فالجواب أن الظاهر أنها كانت محرمة، والمشروع في حقها أن لا تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب، أو يقال: لعل النبي ﷺ أمرها بعد ذلك.

وروى مسلم[1] عن جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري».

٤ ـ وعن حديث جابر: بأنه لم يذكر متى كان ذلك، فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا، ويؤيد ذلك قوله سفعاء وهو تغيرهما إلى سواد، وهذا دليل على أن المرأة كبيرة السن لا ترجو نكاحًا، أو يكون قبل نزول آية الحجاب فإنها كانت في سورة الأحزاب سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة.

تنبيهات وأحكام متعلقة بالحجاب

الحجاب تكريمٌ للمرأة ورعايةٌ لها وشرفٌ لمكانتها وحفظٌ لكرامتها وإضفاء للحشمة والوقار عليها حتى تعرف بالعفة والطهارة والحياء وهناك أحكام متعلقة به من أهمها:

---

(١) رواه أبو داود ٤/ ٣٦٩ ح ٥٢٧٢.



١ ـ أن وجوب الحجاب حكم شرعي أنزله الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله ﷺ وليس عادة من العادات.

٢ ـ أن الحجاب الشرعي للمرأة هو ما تحقق فيه قصد الشارع من كمال الستر والبعد عن الفتنة، ولذلك لابد أن يتصف بالصفات التالية:

أ ـ **أن يكون ساترًا لجميع بدن المرأة**، لأن المرأة كلها عورة فلا يجوز كونه قصيرًا لا يستر قدميها أو أن تجعل فتحات في أسفل ثوبها.

ب ـ **أن يكون سميكًا**، فلا يجوز كونه شفافًا يشف عما تحته.

ج ـ **أن يكون واسعًا فضفاضًا**، فلا يجوز كونه ضيقًا يحدد تقاطيع جسمها أو ذا أكمام واسعة يخرج جزء من بدنها.

د ـ **أن لا يكون زينة في نفسه**، فلا يجوز كونه مزخرفًا أو مزركشًا يلفت الأنظار أو فيه صور لذوات الأرواح.

م ـ **أن لا يكون فيه تشبه بالرجال**، فلا تضع العباءة عند الخروج على كتفها مثل الرجال[1].

الأسئلة

س١ : اذكر دليلًا من القرآن الكريم على وجوب الحجاب.

س٢ : اذكر دليلًا من السنة على وجوب الحجاب.

س٣ : يترتب على السفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب بعض المفاسد اذكر اثنين منها.

س٤ : يستدل من لا يرون وجوب غطاء الوجه ببعض الأدلة، اذكر واحدًا منها مع الرد عليه.

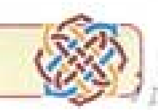
س٥ : اذكر الصفات التي يجب توفرها في الحجاب الشرعي.

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ج ١٧ .




الجهاد في سبيل الله



تعريف الجهاد

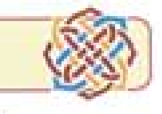
الجهاد لغة : مصدر من الجَهْد والجُهد ـ بفتح الجيم وضمّها ـ وهما الطاقة والمشقة، تقول : جهَد دابته وأجهدها : بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها، والاجتهاد : بذل الوسع والمجهود.

أما في الشرع : فله، إطلاقان :

(أ) إطلاق خاص، ويراد به : بذل الجهد في قتال الكفار والبغاة.

(ب) إطلاق عام، وقد عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بقوله : (الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبّ الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[1].

وعلى هذا، فكل ما يبذله المؤمن من جهد في الإيمان بالله تعالى وطاعته، ومقاومة الشر والفساد والانحراف، ومجاهدة النفس في استقامتها على دين الله تعالى، ومجاهدة الشيطان لدفع وسواسه، كل ذلك من الجهاد في سبيل الله.



أقسام الجهاد

ينقسم الجهاد باعتبار إطلاقه العامّ إلى ما يلي :

١ ـ مجاهدة النفس، ويكون بالتزود من العلم الشرعي الذي ينير البصيرة، ويوضح الطريق، ثم بمجاهدتها للاستقامة على العمل الصالح المبني على العلم الصحيح.

ومن جهاد النفس : مجاهدتها بكبح أهوائها وغرائزها التي تجنح بالإنسان إلى الانغماس في الشهوات المحرمة، يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[2].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ١٩١ .

(٢) آية ٦٩ من سورة العنكبوت.

ومن جهادها أيضاً: بذل المال في وجوه الخير بعامة، وفي إعداد القتال بخاصة، يقول تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

٢ ـ مجاهدة الشيطان، ويكون بدفع ما يلقي الشيطان في النفس من الشبهات المضلة، والشهوات المحرمة.

٣ ـ مجاهدة الفساق، ويكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتوجيههم وإرشادهم ونصحهم بالتي هي أحسن.

٤ ـ مجاهدة المنافقين، ويكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ودحض شبهاتهم وإرجافاتهم، وبيان زيف ادعاءاتهم.

٥ ـ مجاهدة الكفار بدعوتهم وقتالهم[2].

فضل الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وبه قام هذا الدين، وارتفعت رايته، وهو من أعلى القربات، وأجلّ الطاعات، شُرع لإعلاء كلمة الله تعالى، وتبليغ دعوته للناس كافة، والآيات الكثيرة، والأحاديث النبوية دالة على هذا الفضل، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[5].

---

(١) آية ٦٠ من سورة الأنفال. (٢) ينظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٥ وما بعدها بتصرف. (٣) آية ١١١ من سورة التوبة.
(٤) الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢ من سورة التوبة. (٥) الآيات ١٦٩، ١٧٠، ١٧١ من سورة آل عمران.

وروى الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ سئل : أيّ العمل أفضل ؟ فقال : «إيمان بالله ورسوله»، قيل : ثم ماذا ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله...» الحديث[١].

وأخرجا أيضاً عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعا : «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[٢].

حكم الجهاد في سبيل الله

اتفق علماء المسلمين على أن الجهاد لنشر دين الله فرض، ولكنه فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وذلك لقوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ... ﴾ الآية[٣].

قال ابن قدامة رحمه الله : (وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم)[٤].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٥]، فنفى الله تعالى أن ينفر المسلمون للجهاد كافة، وحضّ على أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تقوم بفرض الجهاد الذي يسقط عن الطائفة الباقية.

الحالات التي يتعين فيها الجهاد

ذكر العلماء أن الجهاد يتعين على الشخص في حالات ثلاث :

١ - إذا تقابل الصفّان، فيحرم على من حضر الانصراف، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل ١/ ٧٧ برقم (٢٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١/ ٨٨ برقم (٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الغدوة والروحة في سبيل الله ٦/ ١٣ برقم (٢٧٩٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة ٣/ ١٤٩٩ برقم (١٨٨٠). (٣) آية ٩٥ من سورة النساء.

(٤) المغني ١٣/ ٦، ٧. (٥) آية ١٢٢ من سورة التوبة. (٦) آيات ١٥، ١٦ من سورة الأنفال.

٢ ـ إذا نزل الكفار ببلد معيّن، تعيّنَ على أهله قتالهم ودفعهم، فالدفاع عن النفس واجب، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[1].

٣ ـ إذا استنفر وليّ الأمر قوماً لزمهم النفير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾[2].

متى يكون القتال جهادًا في سبيل الله ؟

لا يخرج القتال من مقصدين:

١ ـ أن يكون تلبية لأمر الله، وتضحية في سبيله، ونشرًا لعقيدة التوحيد، ودفاعاً عن حياض الإسلام وديار المسلمين، وإعلاءً لكلمة الله، فهذا هو الجهاد في سبيل الله.

٢ ـ أن يكون خلاف ذلك المقصد، كأن يقاتل شجاعة، أو حميّة، أو قومية، أو طلبًا لمال، ونحو ذلك من الشعارات والمذاهب الباطلة، فهذا لا يكون في سبيل الله. سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حميّة، ويقاتل رياء، أيّ ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»[3].



الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة

من حكمة الله تعالى أن جعل الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى يوم القيامة، وما دام هذا الصراع موجوداً فالجهاد موجود، لا يحدّ بوقت معين، فمتى وجد الباطل والضلال والكفر، فالجهاد ماض، وفضيلته باقية بحسب كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ...﴾ الآية[4].

---

(١) آية ١٩٠ من سورة البقرة. (٢) آيات ٣٨، ٣٩ من سورة التوبة.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٦/ ٢٨، برقم (٢٨١٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٣/ ١٥١٢ برقم (١٩٠٤).

(٤) آية ٢١٧ من سورة البقرة.

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»[1].

وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[2].



س١ : للجهاد في الشرع إطلاقان، بيّنهما.

س٢ : ما حكم الجهاد ؟ دلّل على ما تقول مع بيان وجه الاستدلال.

س٣ : متى يكون القتال جهاداً في سبيل الله ؟ دلّل على ما تقول.

س٤ : إلى متى تستمر مشروعية الجهاد ؟ استشهد لما تقول.

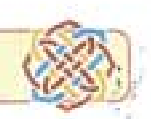
(١) رواه مسلم في الإمارة باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة ..»، ٣/ ١٥٢٤ رقم (١٩٢٣) وهو مكرر رقم (١٥٦). وفي الباب نصوص أخرى انظرها في صحيح مسلم (الموضوع المذكور)، والبخاري رقم (٧١)، (٣٦٤٠)، وجامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٢٠٣ وما بعدها، ٢/ ٥٦٩ رقم (١٠٤٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٨٤٩، ٢٨٥٠) ومسلم رقم (١٨٧١) ومابعده.



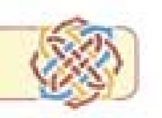



المُزاح وآدابه



الناس والمزاح

اعتاد الناس في قديم الدهر وحديثه أن يخلطوا حياتهم بشيء من الدعابة، تضفي على حياتهم شيئاً من اللطف والأنس، وهذا جارٍ مع الأصحاب والأقران، ومع الأهل والأولاد، وغيرهم، لا يكاد يخلو من ذلك أحد، لكنهم فيه بين مقلّ ومستكثر.



أهمية معرفة آدابه الشرعية

والمسلم ـ بوصفه عبدًا للّه تعالى ـ لابد أن يضبط حياته بمنهج اللّه في كل شأن من شؤونه، حتى يحقق في نفسه العبودية التامة للّه تعالى.

ولأجل كثرة المزاح في الناس اليوم فلابد من معرفة أنواعه وضوابطه الشرعية، ليلتزم المسلم بها، ولا يحيد عنها، وليُحَصّل بسبب ذلك الثواب، ويدفع عن نفسه العقاب.



أقسام المزاح

١ ـ مزاح محمود: وهو ما له غرض صحيح، مقرون بنية صالحة، منضبط بالقواعد الشرعية.

ومن أمثلة ذلك: ممازحة الرجل والديه بأدب، أو أهله وولده، أو ممازحة القرين بنية إدخال السرور على قلبه، فهذا يثاب عليه المرء، ومن أدلة مشروعية هذا المزاح نصوص منها:

(أ) حديث حنظلة الأسيدي ـ رضي الله عنه ـ وفيه أنه قال: نافق حنظلة يا رسول اللّه، فقال: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول اللّه، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا[1] الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنْ لو

---

(١) أي اشتغلنا بمعايشنا وحظوظنا.

تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[1].

(ب) وفي حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ لما تـزوّج، وسأله النبي ﷺ : «يا جابـر، تزوجـت ؟» قال : قلت : نعم، قـال : «فبكـر أم ثيّب؟» قـال : قلت : بل ثيّب، يا رسول الله، قـال : «فهلا جاريـة تلاعبها وتلاعبك» أو قال : «تضاحكها وتضاحكك»[2].

(جـ) وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت : فسابقته فسَبَقتُه على رجليّ، فلما حملت اللحـم سابقتـه فسبقني، فقـال : هذه بتلك السبقة[3].

٢ ـ مـزاح مذمـوم : وهو الذي له غرض فاسد، ونيـة سيئـة، أو كان غير ملتزم بالضوابط الشرعية، ومن أمثلـة ذلك : أن يشتمل على الكـذب، أو الإضرار بالآخريـن، ونحو ذلك.

٣ ـ مـزاح مباح : وهو ما ليس لـه غرض صحيح، ولا نيـة صالحـة، ولكنه لا يخرج عن حدود الشرع، ولم يُكثر منـه صاحبـه حتى يكون سمتا لـه، وهو الذي يطلق عليه بعض الناس (المزاح البريء) إن صدقت عليه العبـارة.

فهو ليس بمحمود ولا مذموم، فلا ثواب فيه، لعدم الغرض الصحيح والنية الصالحة التي هي مُتَعلَّق الثواب، ولا عقاب عليـه لعدم المخالفـة الشرعيـة.

ضوابط وآداب المـزاح

أولاً : الأمور التي ينبغي العناية بها في المزاح :

١ ـ النية الصالحة، والمراد أن يستحضر المرء عند مزاحه نيّة فعلٍ خيّر يحبـه الله تعالى، وذلك كأن

---

(١) رواه مسلم، في التوبة، باب فضل دوام الذكر ٤/ ٢١٠٦ رقم (٢٧٥٠) (فائدة) : يفهم بعض الناس هذا الحديث خطأ ويزيدون عليه فيقولون : ساعة لربك، وساعة لقلبك ! يبررون بذلك ما يصدر عنهم من تقصير. والواجب أن تكون ساعات المرء كلها مضبوطة بشرع الله تعالى.

(٢) رواه مسلم في كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر ٢/ ١٠٨٧ .

(٣) رواه أبو داود في الجهاد، باب السبق على الرّجل ٣/ ٦٦، رقم (٢٥٧٨)، ورواه ابن ماجه مختصراً في الجهاد، باب حسن معاشرة النساء ١/ ٦٣٦ رقم (١٩٧٩)، وقال في زوائده : إسناده صحيح على شرط البخاري.

يَنوي إدخال السرور على نفسه وأخيه أو زوجه أو والده، أو ينوي بذلك تقريب شخص إلى فعل خير بتلك الدُّعابـة، أو إجمام النفس لتتقوى على عمل صالح أو أيّ نية أخرى صالحـة، ويدل على هذا الأصل العظيم قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[1].

٢ ـ التزام الصدق، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا؟! قال: «إني لا أقول إلا حقا»[2].

٣ ـ الاحترام والتقدير للآخرين، وإنزال الناس منازلهم، ومعرفة نفسية المقابل، فليس كل الناس يتقبل المزاح، وقد قيل: لا تمازح صغيراً فيجترئ عليك، ولا كبيراً فيحقد عليك.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا»[3].

ثانياً: الأمور التي ينبغي اجتنابها في المزاح:

١ ـ الكذب، فالكذب محرم في الجد والهزل، مذموم في الشريعة. وقد ورد التهديد الخاص لمن كذب لإضحاك الآخرين، وما ذلك إلا لخطورته وسهولة انجراف النفس فيه مع تشجيع الأصحاب، ومحبة الظهور والتصدر. عن بهز عن حكيم، عن أبيه، عن جده معاوية بن حيدة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويلٌ للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له»[4].

ولم يقتصر الشرع على النهي عن هذا الخلق الذميم في هذا الموضع بالذات، بل إن رسول الله ﷺ قال حاثًّا على ترك الكذب في المزاح: «أنا زعيم... ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً»[5].

---

(١) رواه البخاري: أول حديث في الصحيح، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات ٣/ ١٥١٥ رقم (١٩٠٧).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٦٠، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح ٤/ ٣٥٧، رقم (١٩٩٠)، ورواه أيضاً في الشمائل رقم ٢٣٨، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٦٥)، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٧٩، والطبراني في الكبير ١٢/ ٣٩١ من حديث ابن عمر، والحديث قد حسّنه الترمذي، والبغوي، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٨).

(٣) رواه أحمد ٢/ ١٨٥، وأبو داود في الأدب، باب في الرحمة ٥/ ٢٣٢، رقم (٤٩٤٣) بنحوه، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان ٤/ ٣٢١، رقم (١٩١٩)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٣٥٤).

(٤) رواه أحمد ٥/ ٧، وأبو داود في الأدب، باب التشديد في الكذب ٥/ ٢٦٥ رقم (٤٩٩٠)، والترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك... ٤/ ٥٥٧ رقم (٢٣١٥)، وقال: حديث حسن.

(٥) رواه أبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق ١٥/ ١٥٠، رقم (٤٨٠٠)، وبلفظ مختلف رواه الترمذي في البر، باب ما جاء في المراء، ٤/ ٣٥٨ رقم (١٩٩٣)، وابن ماجه في المقدمة ١/ ١٩ رقم (٥١).

٢ ـ الإكثار منه، والإفراط فيه، حتى يغلب على المجالس، ويهجر فيها الجد والحق، ويكون سمتا لشخص يعرف به، أو لمجموعة لا تجتمع إلا عليه.

فمثل هذه مذموم، لأنه مضيع للأوقات، مذهب للهيبة، مضيع للشخصية، ولا بد أنه مُوقعٌ في الكذب، والاستهتار، مُجَرِّئٌ للصغير على الكبير، مميت للقلب، مذهب للجِدّ الذي ينبغي أن يتميز به المسلم في حياته.

٣ ـ المزاح مع النساء الأجانب، فإن ذلك سبب للفتنة، ووقوع الفاحشة، وميل القلوب إلى الحرام.

٤ ـ الأذى والإضرار بالآخرين، والإساءة إليهم، أو أخذ حقوقهم وترويعهم، أو الضرب الذي يتجاوز به الحد، أو الهزل بما فيه ضرر كسلاح وحجارة وغيرهما.

فإن مثل هذا يورث الأحقاد والضغائن، وقد يؤدي إلى النزاع والخصام، وينقلب به الهزل إلى جد، والودّ إلى حقد، والمحبة إلى كراهية. قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ...﴾ الآية[1]، ومعنى ينزغ: يفسد ويغري بينهم. قال الحافظ[2] ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يأمر الله عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة.

وعن عبدالله بن السائب، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًا، من أخذ عصا أخيه فليردها»[3]، فما بالك بمن يأخذ ماله، أو سيارته؟!

٥ ـ المزاح بالأمور الشرعية، وذلك لأن المزاح بها يعتبر سخرية واستهزاء، وذلك كفرٌ مخرج من الإسلام ـ والعياذ بالله ـ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ...﴾ الآية[4].

---

(١) آية ٥٣ من سورة الإسراء. (٢) انظر تفسير ابن كثير سورة الإسراء آية ٥٣.

(٣) رواه أحمد ٤/ ٢٢١، وأبو داود في الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح ٥/ ٢٧٣، رقم (٥٠٠٣)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً ٤/ ٤٦٢ رقم (٢١٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم (٢٤١)، باب ما لا يجوز من اللعب والمزاح، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٤) آية ٦٦ من سورة التوبة.

ويشبه ذلك الهزل بذكر حملة الدين من الصحابة، والعلماء، والصالحين، كالسخرية بهم، وحكاية أصواتهم، وتقليد حركاتهم، أو ذكر فتاواهم على سبيل الضحك والسخرية.

صورٌ من مُزاح النبي ﷺ

١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين»، قال أبو أسامة ـ أحد رواة الخبر ـ يعني: يمازحه[١].

٢ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا استحمَلَ رسول الله ﷺ فقال: «إني حاملك على ولد الناقة»، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟! فقال ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق»[٢].



الأسئلة

س١: ما أهمية معرفة أحكام المزاح وآدابه؟

س٢: المزاح المباح وسط بين المحمود والمذموم، فما ضابطه؟ ولماذا لم يتعلق به الثواب والعقاب؟

س٣: حدد المزاح المحمود من المذموم من المباح فيما يلي: مداعبة الرجل زوجته ـ أخذ بطاقة زميلك الشخصية من باب المداعبة ـ تتصل هاتفياً بزميلك لتخبره (كذبًا) بوفاة أخيه ـ المزاح مع الوالد بأدب واحترام ـ الإشارة بالسلاح إلى زميلك.

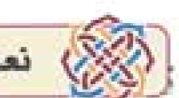
---

(١) رواه أبو داود، في الأدب، باب ما جاء في المزاح ٥/ ٢٧٢، رقم (٥٠٠٢)، والترمذي ٤/ ٣٥٨ رقم (١٩٩٢)، وفي الشمائل رقم (٢٣٦)، وقال أبو عيسى: حديث صحيح غريب.

(٢) رواه أبو داود، الموضع السابق، رقم (٤٩٩٨)، والترمذي، الموضع السابق، رقم (١٩٩١)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، والشمائل رقم (٢٣٩).



آداب الطعام والشراب



نعمة الطعام والشراب

الطعام والشراب نعمة من أعظم نعم اللّه تعالى على عباده، وبها قوام أبدانهم، فَمِن حقِّ هذه النعمة أن يُشكَر واهبها، ومِن شكره أن يحمد عليها ويُعمَل بشرعه فيها، وتلتزم أحكامه، وألّا يستعان بنعمته على معصيته.

أحكام وآداب الطعام والشراب

يمكن تقسيم هذه الأحكام إلى نوعين :



أولاً : ما ينبغي الاعتناء به

١ ـ احترام الطعام، واعتقاد أنه نعمة من اللّه تعالى وهبها له.

٢ ـ ترك امتهانه ورميه في المزابل، وأماكن القاذورات.

٣ ـ التسمية أوّل الطعام، قال ابن القيم رحمه اللّه : والصحيح وجوب التسمية عند الأكل، وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد، وأحاديث الأمر بها صحيحة صريحة، ولا معارض لها، ولا إجماع يسوّغ مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها، وتاركها شريكه الشيطان في طعامه وشرابه[١]. ومن أدلة وجوب التسمية : حديث عمر بن أبي سلمة أن النبي ﷺ قال له : «يا غلام، سمّ اللّه، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[٢].

وفي حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللّه عليه»[٣].

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٣٩٧ .

(٢) رواه البخاري في الأطعمة، باب التسمية على الطعام (الفتح ٩/ ٥٢١)، رقم (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٣/ ١٥٩٩ رقم (٢٠٢٢).

(٣) رواه مسلم، الموضع السابق رقم (٢٠١٧) وفيه قصة.



٤ـ أن يأكل مما يليه؛ لما تقدم من حديث عُمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما، وإن كان الطعام منوّعا فلا بأس أن يتناول من الأنواع الأخرى وإن كانت لا تليه.

٥ ـ إذا سقطت منه لقمة فليأخذها وليأكلها، فإن كان بها أذى أزاله وأكلها، اتباعا للسنة، واستجابة لأمر الرسول ﷺ، وفي ذلك عدة أحاديث، منها حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمِط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدَعْها للشيطان»[١].

٦ ـ أن يسلت الصحن ويلحس ما فيه، فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة. «إنكم لا تدرون في أيه البركة»[٢]. وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أمرنا أن نسلت القصعة، قال: «فإنكم لا تدرون في أيّ طعامكم البركة»[٣]، والمراد بالبركة: ما يحصل به الانتفاع والتغذية.

٧ ـ أن يلعق أصابعه قبل أن يغسلها، فعن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها[٤]. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: «إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أيتهن البركة»[٥].

قال العلماء: ولا عبرة بكراهة الجُهّال لِلَعْق الأصابع استقذارًا، نعم لو كان ذلك في أثناء الأكل فينبغي اجتنابه؛ لأنه يعيد أصابعه وعليها أثر ريقه، وهذا مما يستقذر[٦].

٨ ـ يستحب أن يثني على الطعام؛ لأن في ذلك أثراً حسناً على مَن صنعه، ثم فيه شكرٌ لنعمة الباري جل وعلا، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك أحياناً، فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ سأل أهلَه الأُدُمَ، فقالوا: ما عندنا إلا خلّ، فدعا به، فجعل يأكل به، ويقول: «نعم الأدُم الخلّ، نعم الأدم الخل»[٧].

---

(١) رواه مسلم في الأشربة، باب استحباب لعق الصحفة ٣/ ١٦٠٧ رقم (٢٠٣٤).
(٢) رواه مسلم، في الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ٣/ ١٦٠٦ رقم (٢٠٣٣).
(٣) رواه مسلم، الموضع السابق، رقم (٢٠٣٤).
(٤) رواه مسلم، الموضع السابق، رقم (٢٠٣٢)، وعن أنس نحوه برقم (٢٠٣٤).
(٥) رواه مسلم، الموضع السابق، رقم (٢٠٣٥)، ونحوه من حديث ابن عباس برقم (٢٠٣١)، والبخاري رقم (٢٠٣٢).
(٦) انظر: غذاء الألباب للسفاريني ٢/ ١٢٦، وفتح الباري ٩/ ٥٧٨، شرح الحديث رقم (٥٤٥٦)، وفيه زيادة مفيدة.
(٧) رواه مسلم في الأشربة، باب فضيلة الخل ٣/ ١٦٢٢ رقم (٢٠٥٢).

٩ ـ يسنّ لشارب الماء أن يتنفس أثناء شربه ثلاث مرات خارج الإناء، وذلك بأن يشرب، ثم يبعد الإناء عن فيه، ويتنفس، ثم الثانية، ثم الثالثة، وينتهي. عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً[١]، وفي رواية لمسلم: «ويقول: إنه أروى وأبرأ وأمرأ».

١٠ ـ أن يحمد الله تعالى في آخر طعامه أو شرابه، وأقل ذلك أن يقول: «الحمد لله»، مستشعراً نعمة الله عليه، قال ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٢].

ولو ذكر بعض ما ورد من الأدعية غير ما ذُكر كان حسنا، ومن أصحّ ما ورد حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفّي ولا مودَّع، ولا مستغنى عنه ربّنا»[٣].

١١ ـ إذا شرب وعنده جماعة فليُعطِ الذي عن يمينه، ولو كان صغيرًا ومَن يساره أكبر منه، ولا بأس أن يستأذن الصغير ليعطي الكبير، فإن أذن وإلا فهو أحق بالشرب. ودليل ذلك حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله! لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده[٤]. أي: وضعه في يده.

وفي حديث آخر: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه كان عن يمين النبي ﷺ أعرابي، وعن يساره أبو بكر، وعُمَرُ وُجاهَه[٥]، فلما شرب النبي ﷺ قال عمر: يا رسول الله أعط أبا بكر، فأعطاه النبي ﷺ الأعرابيّ، وقال: «الأيمن فالأيمن»[٦].

---

(١) رواه البخاري في الأشربة، باب الشرب بنفَسين أو ثلاثة (الفتح ١٠/ ٩٢)، رقم (٥٦٣١)، ومسلم، في الأشربة، باب كراهة التنفس في نفس الإناء ٣/ ١٦٠٢ رقم (٢٠٢٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٤/ ٢٠٩٥ رقم (٢٧٣٤).

(٣) رواه البخاري، في الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه (الفتح ٩/ ٥٨٠)، رقم (٥٤٥٨).

(٤) رواه البخاري، في الأشربة، باب هل يستأذن الرجل مَن عن يمينه... (الفتح ١٠/ ٨٦) رقم (٥٦٢٠)، ومسلم، في الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن عن يمين المبتدئ ٣/ ١٦٠٤ رقم (٢٠٣٠).

(٥) وُجاهَه: أي مقابله.

(٦) رواه البخاري، في الأشربة، باب شرب اللبن بالماء (الفتح ١٠/ ٧٥)، رقم (٥٦١٢)، ومسلم، في الموضع السابق، رقم (٢٠٢٩).

وفي رواية لمسلم قال: «الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون». قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: فهي سنة، فهي سنة، فهي سنة.

ثانياً: ما ينبغي اجتنابه

١ ـ الإسراف في الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[١].

٢ ـ يحرم الأكل بالشمال إلا لضرورة، ويدل لذلك أمور منها:

(أ) النهي الصريح عن الأكل باليسار، كما في حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: «لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال»[٢].

(ب) الأمر الصريح بالأكل باليمين، كما في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا: «وإذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومقتضى هذا تحريم الأكل بها، وهو الصحيح[٤].

(جـ) أن فيه تشبهاً بالشيطان، كما تقدم في الأحاديث، وفيه تشبه بالكافرين، وكلا الأمرين ممنوع منه شرعًا.

(د) دعاء النبي ﷺ على من أكل بيساره، وتعليله ذلك بأنه من الكبر، فعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه[٥].

---

(١) آية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) رواه مسلم، في الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٣/ ١٥٩٨ رقم (٢٠١٩).

(٣) رواه مسلم، الموضع السابق، رقم (٢٠٢٠).

(٤) زاد المعاد ٢/ ٤٠٥.

(٥) رواه مسلم، الموضع السابق، رقم (٢٠٢١).

٣ـ يكره أن يشرب أو يأكل وهو قائم، والسنة أن يجلس عند ذلك، فعن قتادة، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال (أنس): ذلك أشر وأخبث[1].

٤ ـ يكره الأكل متكئا، قال ﷺ: «إني لا آكل متكئا»[2]. قال الحافظ ابن حجر: فالمستحب في صفة الجلوس للأكل أن يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى، ويجلس على اليسرى.

٥ ـ يكره النفخ في الإناء، أو التنفس فيه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ «نهى أن يتنفس في الإناء، أو ينفخ فيه»[3]. وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء»[4].

٦ ـ يكره أن يعيب الطعام، بل إن اشتهاه أكله، وإن عافته نفسه تركه دون عيب له، قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه[5].



س١: من الظواهر السيئة: الإسراف في الطعام، ورميه في المزابل ونحوها، كيف يمكن ـ في رأيك ـ القضاء على هاتين الظاهرتين؟

س٢: ما حكم التسمية عند الأكل والشرب؟ استدل على ما تقول.

س٣: من المظاهر السيئة عند الناس الأكل بالشمال، فما حكم ذلك، وما دليله؟ وما سببه في رأيك، ثم كيف السبيل لمنع انتشار هذه الظاهرة؟

---

(١) رواه مسلم، في الأشربة، باب كراهية الشرب قائما ٣/ ١٦٠٠، رقم (٢٠٢٤)، وللاستزادة انظر: فتح الباري ١٠/ ٨١.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة، باب الأكل متكئا (الفتح ٩/ ٥٤٠)، رقم (٥٣٩٨)، وكلام الحافظ في شرحه.

(٣) رواه الترمذي، في الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب ٤/ ٣٠٠ رقم (١٨٨٨)، وقال: حسن صحيح، وانظر أيضاً ما قبله رقم (١٨٨٧).

(٤) رواه البخاري، في الوضوء، باب لا يمسك ذكره بيمينه (الفتح ١/ ٢٥٤) رقم (١٥٤)، ومسلم في الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين ١/ ٢٢٥ رقم (٢٦٧).

(٥) رواه البخاري في الأطعمة، باب: ما عاب النبي ﷺ طعامًا (الفتح ٩/ ٥٤٧)، رقم (٥٤٠٩)، ومسلم، في الأشربة، باب لا يعيب الطعام ٣/ ١٦٣٢ رقم (٢٠٦٤).



الوليمة وآدابها



المراد بالوليمة

أصل الوليمة في اللغة : مأخوذة من الوَلْم، وهو تمام الشيء واجتماعه، ثم أصبحت تطلق في العرف على كل طعام لسرور حادث.

وغلب إطلاقها في النصوص الشرعية وكلام العلماء على : طعام العرس خاصة، فإذا أطلقت الوليمة، فالغالب أن المراد بها ذلك[1]، سميت بذلك تفاؤلاً باجتماع الزوجين وتمام أمرهم، ولأجل اجتماع الناس من الأقارب والجيران ونحوهم.

حُكم الوليمة

الوليمة سنة مؤكدة عند جمهور من العلماء، ودليل مشروعيتها حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ رأى على عبدالرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال : «ما هذا ؟» قال : يا رسول الله، إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال : «بارك الله لك، أولِمْ ولو بشاة»[2].

حكم إجابة الدعوة للوليمة

أكثر العلماء على وجوب إجابة دعوة الوليمة؛ لقول النبي ﷺ : «إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها»[3]. ولوجوب الإجابة شروط :

١ ـ أن تكون الدعوة للشخص بعينه، بأن يدعوك صاحب الوليمة بنفسه، أو يرسل شخصاً يدعوك، أو من خلال المهاتفة، أو إرسال بطاقة دعوة، ومثل ذلك الدعوة لجماعة معينين فيلزم الإجابة في كل ذلك[4].

---

(١) انظر : فتح الباري ٩/ ٢٤٥ .

(٢) رواه البخاري في النكاح، باب كيف يدعى للمتزوج (الفتح ٩/ ٢٢١) رقم (٥١٥٥)، ورواه مسلم في النكاح، باب الصداق ٢/ ١٠٤٢ رقم (١٤٢٧).

(٣) رواه البخاري في النكاح، باب حقّ إجابة الوليمة والدعوة (الفتح ٩/ ٢٤٠)، رقم (٥١٧٣)، ورواه مسلم في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي ٢/ ١٠٥٣ رقم (١٤٢٩).

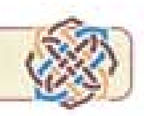
(٤) المغني ١٠/ ١٩٤ .



٢ ـ أن يكون الداعي مسلماً، عاقلًا، بالغاً، فلا تلزم إجابة دعوة الكافر، ولا المعتوه، ولا الصبي.

٣ ـ ألا تشتمل الوليمة على منكر لا يستطيع تغييره، فإن كان يستطيع تغييره لزمته الإجابة والتغيير.

أما إن كانت الدعوة لغير عرس فلا تلزم إجابتها، ولكن تستحب؛ لما في ذلك من جبرٍ لخاطر الداعي، وإدخال للسرور عليه، ولأنه من الحقوق العامة بين المسلمين، كما قال النبي ﷺ: «... وإذا دعاك فأجبه»[1].



الأسباب المبيحة للتخلف عن الوليمة

١ ـ أن تشتمل الوليمة على منكر لا يستطيع تغييره.

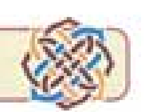
٢ ـ أن يوجد عذر شرعي لدى المدعو يمنعه من الاستجابة، كمرض، أو خوف.

٣ ـ أن يحصل له بحضوره ضرر شرعي، كإيذاءٍ من شخص يعلم حضوره للوليمة، أو صحبة سيئة قد قطعهم ويخشى بحضوره معاودتهم له، ونحو ذلك.

٤ ـ أن يكون الداعي ممن يخص بدعوته الأغنياء دون الفقراء.

٥ ـ أن يكون الداعي ممن يجب هجره شرعاً، ولا مصلحة ترجى من إجابته.

٦ ـ إذا اعتذر من الداعي فَقَبِل عذره؛ لأن ذلك حق له قد أسقطه.



من أحكام الوليمة وآدابها

١ ـ ينبغي الحذر من الإسراف في الوليمة، فالإسلام دين العدل والتوسط، وقد نهى الله تعالى عن الإسراف، فقال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝٣١ ﴾[2]. وما نراه اليوم من ظاهرة الإسراف في الولائم أمرٌ غير محمود، وتكلّفٌ لا ترتضيه الشريعة، وحري

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٣/ ١١٢ رقم (١٢٤٠)، ومسلم كتاب السلام باب من حق المسلم ٤/ ١٧٠٥ رقم (٢١٦٢).

(٢) الآية ٣١ من سورة الأعراف.



بالمسلمين أن يتدبروا هـدي النبي ﷺ ويلتزموا به، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاة»[1].

٢ ـ يشرع لصاحب الوليمة أن يدعوَ أهلـه وأقاربـه وجيرانـه وأصحابـه، كما ينبغي أن يدعو لها أهـلَ الخير والصلاح.

٣ ـ لا يجـوز في وليمة العرس أن يخص الداعي الأغنياء دون الفقراء، فالمؤمنون إخـوة متحابون، وليس في الإسلام طبقيـة، والفقراء أحوج للدعوة من الأغنياء؛ لحاجتهم وإظهار الشفقـة عليهم، وإشعارهم بروح الأخـوة والمـودة.

قـال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «شر الطعام طعام الوليمـة، يدعى إليها الأغنياء، ويتـرك الفقراء... ومن ترك الدعوة فقد عصى اللّـه ورسولـه»[2].

٤ ـ استحضـار نية تطبيق السنـة الواردة في قول النبي ﷺ: «أولِمْ ولو بشاة»[3] عند إرادة إقامـة الوليمة؛ ليحصل صاحب الوليمة الأجـر والمثوبـة في كل ما يقوم به، مما هو مشروع.

٥ ـ ألا يكون من مقاصد إقامة الوليمة الرياء والسمعة، والمفاخرة بها، ويظهر ذلك بالتكلّف المبالغ فيه؛ لكي يتكلم الناس ويتحدثوا بوليمة فلان، وبعض الناس قد يصرح بذلك فيقول: سأعمل وليمة لم يَرَ الناس مثلها، أو أكبر من وليمـة فلان، ونحو ذلك، ولا يخفى ما في قصد المراءاة للناس من الإثم وضياع الثواب على العمل.

وفي الحـديث أن النبي ﷺ قال: «الوليمـة أول يوم حق، والثاني معـروف، واليـوم الثالـث سمعـة وريـاء»[4].

---

(١) رواه البخاري في النكاح، باب الوليمة ولو بشاة (الفتح ٩/ ٢٣٢) رقم (٥١٦٨)، ومسلم في النكاح، باب زواج زينب ٢/ ١٠٤٩ رقم (١٤٢٨).

(٢) البخاري في النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (الفتح ٩/ ٢٢٤)، رقم (٥١٧٧)، ومسلم، في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي ٢/ ١٠٥٤ رقم (١٤٣٢)، كلاهما أخرجاه موقوفا على أبي هريرة، ورفعه مسلم في إحدى رواياته، فاللّه أعلم، وانظر: الفتح (الموضع المذكور).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أحمد ٥/ ٢٨، ٣٧١، وأبو داود في الأطعمة، باب في كم تستحب الوليمة ٤/ ١٢٦ رقم (٣٧٤٥)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب إجابة الداعي ١/ ٦١٧، والدارمي ٢/ ١٠٥. قال ابن حجر بعد ذكر الحديث وشواهده (الفتح ٩/ ٢٤٣): وهذه الأحاديث وإن كان كل منها لا يخلو عن مقال، فمجموعها يدل على أن للحديث أصل. وقد أشار البخاري في الصحيح إلى ضعفه (الفتح، الموضع السابق).

٦ ـ الحذر من التشبه بغير المسلمين في إقامة ولائمهم، لما في ذلك من ذوَبان الشخصية الإسلامية، والوقوع في التشبه المنهي عنه، ومن ذلك : اختلاط الجنسين في الولائم، وإقامتها على ألحان الموسيقا والغناء، والتصوير. ويشبه ذلك ما يفعله بعض الناس من إدخال الزوج وذويه على النساء وهنّ في كامل زينتهن، وقد يحصل ما هو أكبر من ذلك مما لا ترتضيه الشريعة ولا تقر عليه.

٧ ـ إذا دعاه اثنان فأكثر، فإن أمكن الجمع بينهما فحسن، فيحضر لهذا وهذا، وإن لم يمكنه إجابتهما قدَّم أسبقهما، واعتذر من الآخر، وإن كانت الدعوتان في وقت واحد قدَّم أقربهما رَحِمًا، ثم الأقرب جواراً، وعند الاستواء فإنه يستعمل القرعة في ذلك.

٨ ـ إذا كانت الدعوة نهاراً، وكان المدعوّ صائماً، فله حالتان :

(أ) أن يكون الصوم واجباً كقضاء رمضان، أو صيام نذر، فلا يجوز له أن يفطر، وعليه الحضور، والدعاء لهم، وإن اعتذر فقُبِل عذره فلا بأس بذلك.

(ب) أن يكون الصوم نافلة، فعليه الإجابة، وإن رأى أنه يشق على صاحب الدعوة صومه، وينكسر قلبه لذلك، فالأفضل له الفطر، وإلا أتمّ صومه، ودعا لهم، ومع ذلك فهو إن اعتذر عن الحضور، فقبل عذره فلا بأس بذلك، قال ﷺ : «إذا دُعِي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصلّ، وإن كان مفطرا فليطعم»[1]. والمراد بالصلاة هنا : المعنى اللغوي، وهو الدعاء، بدليل رواية أبي داود لنفس الحديث، وفيه : «فليَدْعُ»[2].



الأسئلة

س١ : ما المراد بالوليمة عند الإطلاق ؟ وما حكمها مع الدليل ؟

س٢ : تجب إجابة الدعوة بشروط، اذكرها.

س٣ : عدد ثلاثا من الأسباب المبيحة للتخلف عن الوليمة.

س٤ : للنية أثر كبير في قبول العمل والثواب عليه، وضح كيف تستفيد من ذلك في موضوع الوليمة ؟

---

(١) رواه مسلم، في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي ٢/ ١٠٥٤ رقم (١٤٣١).

(٢) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إجابة الدعوة ٤/ ١٢٤ رقم (٣٧٣٧).





السفر وآدابه



أنواع السفر[1]

(أ) **سفر محمود**: وهو ما كان في طاعة الله تعالى، كالسفر لأداء الحج أو العمرة، أو الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه، أو لطلب العلم النافع، أو لصلة الأرحام، أو زيارة الإخوان في الله.

(ب) **سفر مذموم**: وهو ما كان لأمر لا ترتضيه الشريعة، كالسفر لزيارة القبور، أو المتاجرة بأمر محرم، كالمخدرات، والمسكرات، أو لغرض الفساد.

(جـ) **سفر مباح**: كالسفر لأجل مصلحة دنيوية مباحة، كالتجارة المباحة، أو النزهة الحلال، وقد يرتقي هذا النوع ليكون من قبيل السفر المحمود المثاب عليه إذا صَحِبَه نِيَّةٌ صالحة وموافَقَةٌ للشريعة، كالسفر لتحصيل المال؛ ليعفّ نفسه عن المسألة، ويطعم ولده الحلال، ونحو ذلك.

من الأمور التي تميز بها السفر

(أ) **ما يتعلق بالطهارة**: يجوز للمسافر استدامة لبس الجوربين ثلاثة أيام بلياليهن، وإذا حضر وقت الصلاة وبحث عن الماء فلم يجد فإنه يتيمم، إلا أنه لا ينبغي التساهل الآن، مع توفر مواضع كثيرة يوجد بها الماء - بحمد الله - دون عناء ولا مشقة.

(ب) **ما يتعلق بالصلاة**: يشرع للمسافر قصر الرباعية إلى ركعتين، كما يشرع له جَمْعُ الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء، كما يشرع له ترك النافلة الراتبة للظهر والمغرب والعشاء، لكن يصلي الوتر، وسنة الفجر، وتحية المسجد، والضحى، والنوافل المطلقة، ونحو ذلك، كما أنه يجوز له صلاة النافلة على مركوبه - ولو لغير القبلة.

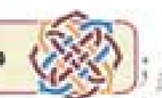
(جـ) الأعمال التي تفوته بسبب السفر تكتب له وإن لم يعملها، كما في حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحاً»[2].

---

(١) للاستزادة، انظر: رسالة: (الغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر)، لبدر الدين الزركشي ص ٤٦ - ٥٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب يُكتَب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة ٦/ ١٣٦ رقم (٢٩٩٦).

(د) المسافر مستجاب الدعوة، قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد، ودعوة المسافر»[1].



من الآداب والأحكام قبل السفر

١ ـ الاستشارة والاستخارة: يستحب لمن خطر بباله السفر أن يشاور فيه من يعلم من حاله النصيحة له، والمعرفة بحاله، فإذا شاور وظهر أنه مصلحة استخار الله تعالى في ذلك، فيصلي ركعتين، ويدعو بدعاء الاستخارة، ثم يمضي لما ينشرح له صدره[2].

٢ ـ تجديد التوبة، والتخلص من حقوق الناس التي عليه، وكتابة وصيته، فإنه لا يدري ما يعرض له في سفره.

٣ ـ اختيار الرفقة الصالحة، التي تعينه على طاعة ربه، فإنه في السفر تحصل معاشرة مستمرة، وهذه لها أثرها على الفرد، وليَجتنب رفقة السوء، ويكره له أن يسافر وحده؛ للنهي عن ذلك، قال ﷺ: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[3]، وقال: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سافر راكب بليل وحده»[4].

والمسافر وحده قد يحصل له بتفرده وحشة، وتتسلط عليه الهواجس والأفكار، أو قد يحصل له مرض فلا يجد من يعاونه، ولذلك نهت الشريعة عن الوحدة.

٤ ـ أن يتعلم الأحكام التي يحتاجها في سفره، كأحكام القصر، والجمع، والمسح على الجوربين.

٥ ـ لا يجوز للمرأة أن تسافر إلا مع محرم لها، أو زوج، قال ﷺ: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» فقال له رجل: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا؟ قال: «انطلق، فحجّ مع امرأتك»[5].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب ٢/ ١٨٦ رقم (١٥٣٦)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم ٢/ ١٢٧، رقم (٣٨٦٢)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعوة الوالدين ٤/ ٣١٤، رقم (١٩٠٥)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٣٢)، (٤٨١).

(٢) يأتي دعاء الاستخارة في الحديث الخامس إن شاء الله تعالى.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده ٣/ ٨٠، رقم (٢٦٠٧)، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر ... ٤/ ١٩٣ رقم (١٦٧٤)، وحسّنه، وقال النووي: بأسانيد صحيحة (رياض الصالحين، كتاب أدب السفر).

(٤) رواه البخاري في الجهاد، باب السير وحده رقم (٢٩٩٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من اكتتب في جيش فخرجت... (الفتح ٦/ ١٤٣) رقم (٣٠٠٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٨ رقم (١٣٤١).



٦ ـ أن يتحرى المرء بسفره يوم الخميس إذا لم يشقّ عليه؛ لأنه الغالب من فعل النبي ﷺ، كما قال كعب ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ: لقلّما كان رسول الله ﷺ يخرج ـ إذا خرج في سفر ـ إلا يوم الخميس[1].

٧ ـ أن يودع أهله وأصحابه، فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ويفعله أصحابه رضي الله عنهم، ومما ورد في ذلك أن يقول المقيم للمسافر: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك[2]، ويقول المسافر للمقيم: أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه[3].

من الآداب والأحكام أثناء السفر وبعده

١ ـ أن يستفتح سفره بذكر الله تعالى، فيقول الدعاء الوارد عند الركوب، والدعاء الوارد عند السفر خاصة.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبّر ثلاثاً، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إنا نعوذ بك من وَعْثَاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل»[4].

٢ ـ أن يؤمّر الجماعة عليهم واحدًا منهم، قال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمّروا أحدهم»[5].

٣ ـ يسنّ للمسافر إذا صعِد مكاناً مرتفعاً أن يكبر الله تعالى، وإذا انحدر إلى وادٍ أن يسبّح الله تعالى، قال جابر ـ رضي الله عنه ـ: كنا إذا صعِدنا كبّرنا، وإذا نزلنا سبّحنا[6].

---

(١) رواه البخاري في الجهاد، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها (الفتح ٦/ ١١٣)، رقم (٢٩٤٩).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند الوداع ٣/ ٧٦، رقم (٢٦٠٠٩)، والنسائي في اليوم والليلة، رقم (٥١٢)، (٥١٤)، وأحمد ٢/ ٢٥، ٣٨، ١٣٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٩٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودّع إنساناً ٥/ ٤٩٩، رقم (٣٤٤٣)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٠٣، والنسائي في اليوم والليلة (٥٠٨)، وابن السني في اليوم والليلة (٥٠٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٢/ ٩٧٨، رقم (١٣٤٢)، والوعثاء: الشدة، والمنقلب: المرجع.

(٥) رواه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمّروا أحدهم ٣/ ٨١ رقم (٢٦٠٨)، وحسّنه النووي في رياض الصالحين، كتاب آداب السفر.

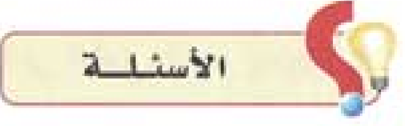
(٦) رواه البخاري في الجهاد، باب التسبيح إذا هبط واديا ٦/ ١٣٥ رقم (٢٩٩٣).

٤ ـ إذا نزل منزلا، قال الدعاء المذكور في حديث خولة بنت حكيم ـ رضي الله عنها ـ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق، لم يضرّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[١].

٥ ـ التعجيل بالرجوع إلى أهله متى انقضت حاجته، قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله»[٢]، ونهمته: حاجته.

٦ ـ إذا رجع ذكَر الدعاءَ الذي قاله عند ابتداء سفره، وزاد عليه: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون[٣].

٧ ـ أن يصلي ركعتين في المسجد إذا رجع إلى بلده، ففي حديث كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين[٤].



الأسئلة

س١: من أيّ أنواع السفر ما يلي؟ السفر لزيارة مسجد النبي ﷺ ـ السفر للتجارة ـ السفر لزيارة قبر رجل صالح ـ سفر المرأة بدون محرم.

س٢: اذكر ما يتعلق بالمسافر من أحكام الصلاة.

س٣: اذكر ما تعرفه من الأحكام المشروعة أثناء السفر.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من سوء القضاء ٤/ ٢٠٨٠، رقم (٢٧٠٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب (الفتح ٣/ ٦٢٢)، رقم (١٨٠٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب ٣/ ١٥٢٦ رقم (١٩٢٧).

(٣) جزء من حديث ابن عمر المتقدم في دعاء السفر، وانظر: صحيح البخاري، رقم (١٧٩٧).

(٤) البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (الفتح ٨/ ١١٤) رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب ابن مالك وصاحبيه ٢١٢٣ رقم (٢٧٦٩).



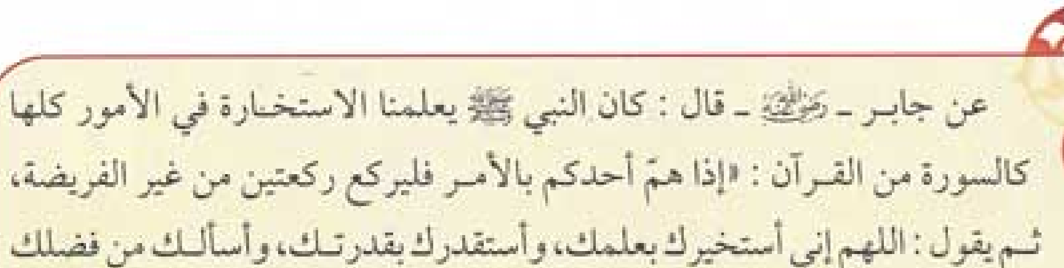


الفصل الدراسي الثاني

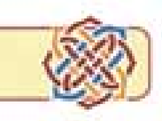
أولاً : الحديث الشريف



الحديث الخامس



عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال : في عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال : عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُر لي الخير حيث كان، ثم رَضِّني به، ويسمي حاجته» رواه البخاري[1].



التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، له ولأبيه صحبة، شهد مع أبيه بيعة العقبة الأخيرة، وكان أبوه أحد النقباء في البيعة، شهد مشاهد كثيرة مع رسول الله ﷺ، يقول ـ رضي الله عنه ـ : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة.

وهو أحد المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ، وكانت له حلْقة في المسجد النبوي يجتمع الناس فيها ليأخذوا عنه العلم، وقد كان ـ رضي الله عنه ـ من المعمَّرين، فهو من أواخر الصحابة الذين ماتوا بالمدينة، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثمان وسبعين، وعاش أربعا وتسعين سنة[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ١١/ ١٨٣، برقم (٦٣٨٢).

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٩، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٢ .

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
الاستخارة	أصلها من الخير، أو من الخيَرة ـ بكسر الخاء وفتح الياء ـ واستخار الله : طلب منه الخيرة، وخار الله له : أعطاه ما هو خير له. والمراد هنا : طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.
في الأمور كلها	هذه جملة عامة أريد بها الخصوص، وذلك أن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما، والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما، فانحصر الأمر في المباح، وفي المستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه.
كالسورة من القرآن	وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة، كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة. وقيل : التشبيه في تحفظ حروفه وترتب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه، والدرس له والمحافظة عليه، والاهتمام به والتحقق لبركته والاحترام له.
إذا همّ	إذا أراد، كما في رواية للحديث عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عند الطبراني والحاكم. فليركع ركعتين : أقل ما يصلي، ولا مانع من الزيادة، لكن كل ركعتين بتسليمتين، ولا يجزئ واحدة.
أستخيرك بعلمك	أي : أطلب الخيرة مما تعلم؛ لأنك أعلم.
وأستقدرك بقدرتك	أي : لأنك أقدر.
وأسألك من فضلك العظيم أو قال	إشارة إلى أن عطاء الرب فضل منه تعالى ونعمة. (أو) شكٌّ من الراوي.
في عاجل أمري وآجله	
فاقدره	بضم الدال وكسرها، أي : اجعله مقدوراً لي وميسَّرا.
واصرفني عنه	أي : حتى لا يبقى القلب بعد صرف الأمر عنه متعلقا به.



الأحكام والتوجيهات

١ ـ حرص النبي ﷺ وشفقته على أمته، وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، حيث يريد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يتعلقوا بالله سبحانه وتعالى في جميع أمورهم.

٢ ـ لا حول للإنسان ولا قوة، والحول والقوة للّه سبحانه وتعالى، فيجبُ على العبد ردّ الأمور كلها للّه سبحانه وتعالى، والتبرّي من الحول والقوة، وأن يلجأ إلى اللّه سبحانه في أموره كلها، ولا يتكل على نفسه، أو حوله، أو قوّته، أو شبابه، أو سلامة رأيه، أو عقله، أو ماله، أو جاهه، أو حسبه ونسبه، أو سلطانه، أو شفاعة الخلق، أو غير ذلك، ولهذا كانت «لا حول ولا قوة إلا باللّه» كنزاً من كنوز الجنة، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح[1]؛ لأن فيها تفويض كل شيء للّه سبحانه وتعالى.

٣ ـ الدعاء من أنجع الوسائل في حل الأمور المستحكمة، وفيه ذل وعبودية للّه تعالى، وخضوع وخشوع، ورغبة فيما عند اللّه تعالى، ورهبة منه سبحانه، فهو المدبّر جلّ وعلا للأمور كلها، والعالم بمصالح العباد في حالهم ومآلهم، والعبد يبحث عن الخير فيلجأ إلى اللّه بالدعاء الصادق المخلص؛ لكي يوفقه إليه ويدله عليه، ويشرح صدره له، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ...﴾ الآية[2].

٤ ـ الاستخارة صلاة ودعاءٌ والسعيد من يقوم بها، ومن تركها فوّت على نفسه خيراً عظيماً، وفي الحديث: «من سعادة ابن آدم استخارته اللّه، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه اللّه، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارته اللّه، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى اللّه عز وجل»[3].

٥ ـ دلّ الحديث على مشروعية صلاة الاستخارة، وأنها تُفعَل إذا أراد الإنسان عملًا من الأعمال المباحة، أو في حال تعارض مستحبّين أيهما أولى، ولا تفعل لأداء واجب أو مستحب لا معارض

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة ١١/ ١٨٧ برقم (٦٣٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤/ ٢٠٧٦ رقم (٢٧٠٢).

(٢) آية ٥٥ من سورة الأعراف.

(٣) رواه أحمد في مسنده ١/ ١٦٨، وقال ابن حجر: سنده حسن (فتح الباري ١١/ ١٨٤ في شرح حديث جابر في الاستخارة).

له، أو ترك محرم أو مكروه، إلا في تعارض ومفاسد ونحو ذلك. ومن الأمور التي تستحب لها الاستخارة: السفر، والوظيفة، والزواج، وشراء منزل واستئجاره، ونحوها.

٦ ـ صلاة الاستخارة ركعتان على الأقل، بشرط ألا تكون صلاة فريضة، واشترط بعض أهل العلم ألا تكون سنة راتبة، ولا مانع أن تكون تحية المسجد إذا نواهما جميعاً، ولا تجزئ ركعة واحدة.

٧ ـ مما يفيده الحديث أن دعاء الاستخارة يكون بعد أداء الركعتين، وذكر بعض أهل العلم أنه لا مانع منه أثناء الصلاة، كما في حال السجود، أو بعد التشهد الأخير[١].

وذكر بعض العلماء أن الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة؛ لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه، والافتقار إليه في جميع الأحوال.

٨ ـ على المستخير أن يسمّي حاجته التي يريد من سفر، أو عمل، أو غيرهما، أثناء الدعاء.

٩ ـ ذكر بعض أهل العلم أن المسلم يفعل ما انشرح له صدره بعد الاستخارة، فإن لم ينشرح صدره فلا بأس من تكرار الصلاة حتى ينشرح صدره.

١٠ ـ في الحديث إثبات صفتي العلم والقدرة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، كما أن فيه مشروعية دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته.



الأسئلة

س١ : عرّف براوي الحديث.

س٢ : ما المراد بالاستخارة؟ وما الحكمة من مشروعيتها ؟

س٣ : متى يدعو المسلم بدعاء الاستخارة ؟

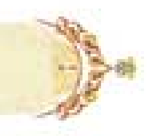
س٤ : كم عدد ركعات الاستخارة؟ وهل يكفي عنها غيرها من الصلوات؟ وضح ذلك.

س٥ : اذكر أربعًا من فوائد الحديث.

---

(١) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/ ١٧٧ .



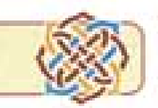


الحديث السادس



٦

عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «كلّ غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويُحلَق، ويسمّى». رواه أصحاب السنن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم[1].



التعريف بالراوي

سبقت ترجمته في الحديث الأول.

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
رهينة	بإثبات الهاء، معناه: مرهون، فعيل بمعنى مفعول، والهاء تقع في هذا للمبالغة.
عقيقته	العقيقة: بفتح العين المهملة، وهو اسم لما يذبح عن المولود، واختلف في اشتقاقها، فقيل: أصلها الشعر الذي يخرج على رأس المولود، وسميت الشاة التي تذبح عنه في تلك الحالة عقيقة؛ لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح. وقيل: مأخوذة من العقّ، وهو الشقّ والقطع. وقد اختلف العلماء في المراد بقوله: (رهينة بعقيقته) وأجود ما قيل فيه: ما ذهب إليه أحمد بن حنبل، قال: هذا في الشفاعة، يريد أنه إذا لم يعقّ عنه فمات طفلًا لم يشفع في أبويه، وقيل: معناه أن العقيقة لازمة لابد منها، فشبّه المولود في لزومها وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن[2].

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأضاحي، بابٌ في العقيقة، ٣/ ٢٦٠، برقم (٢٨٣٨)، وأخرجه الترمذي، كتاب الأضاحي، باب من العقيقة، ٤/ ١٠١، برقم (١٥٢٢).
(٢) انظر فتح الباري ٩/ ٥٩٤، ولابن القيم ـ رحمه الله ـ كلام مستحسن في معنى ذلك، انظره في: تحفة المودود بأحكام المولود ص ٨٤، وزاد المعاد ٢/ ٢٢٦.



١ ـ دلّ الحديث على مشروعية العقيقة، وهي ما يذبح عن المولود من بهيمة الأنعام من الشياه وغيرها، وذكر جمهور أهل العلم أنها مستحبة استحبابًا مؤكدًا؛ لهذا الحديث، ولغيره من الأحاديث، ومنها أن الرسول ﷺ عقّ عن الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم.

٢ ـ يستحب أن يُعَقّ عن الذكر شاتان، وعن الأنثى شاة؛ لما في حديث أم كرز الكعبية ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة»[١]، ولما روى النسائي وغيره: «عقّ النبي ﷺ عن الحسن والحسين، كبشين كبشين»[٢].

وقال ابن القيم: (والتفضيل تابع لشرف الذكر، وما ميّزه الله به على الأنثى، ولما كانت النعمة به على الوالد أتم، والسرور والفرحة به أكمل، كان الشكر عليه أكثر، فإنه كلما كثرت النعمة كان شكرها أكثر)[٣]. ولكن إن لم يجد الوالد شاتين فتجزئ شاة واحدة.

٣ ـ مما يستحب في العقيقة أنها تذبح في اليوم السابع للمولود، ولو قدمها الوالد أو أخرها أجزأت، ولكن خالف السنة[٤].

٤ ـ ذكر أهل العلم في نوع ما يُعَقّ به أنها مثل الأضحية، فيجزئ إبل وبقر وغنم، ففي الإبل لا يقل سنّها عن خمس سنين، والبقر لا تقل عن سنتين، والمعز لا تقل عن سنة واحدة، والضأن لا تقل عن ستة أشهر. ومما ينبه إليه هنا أن الإبل والبقر في العقيقة لا تجزئ إلا عن شخص واحد، بخلاف الحال في الأضحية فإنها تجزئ عن سبعة.

وأفضل الثلاثة شاة؛ لأنه لم يرد عن الرسول ﷺ أنه عقّ بغير الشاة، وتوزّع العقيقة أثلاثًا، ثلث يؤكل، وثلث يُتصدَّق به، وثلث يهدى.

٥ ـ ممّا دلّ عليه الحديث أن يحلق رأس المولود الذكر جميعه في يوم سابعه، أما الجارية فيكره ذلك.

٦ ـ مما دلّ عليه الحديث أنه يستحب تسمية المولود يوم سابعه، وإن سمّي قبل ذلك فلا بأس،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة ٣/ ٢٥٧، برقم (٢٨٣٤)، وأخرجه النسائي، كتاب العقيقة، باب العقيقة عن الغلام ٧/ ١٦٥.
(٢) أخرجه النسائي، كتاب العقيقة، باب كم يعقّ عن الجارية ٧/ ١٦٥، ١٦٦، برقم (٤٢١٩).
(٣) إعلام الموقعين ٢/ ١٥٠.
(٤) ينظر للاستزادة: تحفة المودود ص ٦٠.



جاء في صحيح مسلم وغيره، عن الرسول ﷺ أنه قال: «ولد لي الليلة ولد، سمّيته باسم أبي إبراهيم»[1]، فهذا يدل على أنه سمّاه في اليوم الأول من ولادته.

وذكر أهل العلم أنه يستحب تحسين الاسم، فهو من حقوق المولود على والده، ولما روى أبو داود مرفوعا: «إنكم تدعون بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسمائكم»[2].

وفي تحسين الأسماء تفاؤل لتحسين الأفعال. وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن؛ لما روى مسلم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن»[3].

٧ ـ مما يناسب ذكره هنا من أحكام المولود أنه يُسنّ الأذان في أذنه، وذلك لما روى أبو داود والترمذي ـ وصححه ـ أن الرسول ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة[4].

وذكر في حكمة ذلك أنه ليكون التوحيد أوّل شيء يقرع سمع المولود حين خروجه إلى الدنيا، كما أنه يلقّن كلمة التوحيد عند خروجه منها.

٨ ـ الولد ـ ذكرًا كان أم أنثى ـ نعمة من الله سبحانه وتعالى على الوالد، فينبغي شكر هذه النعمة شكرًا قوليًا وعمليًا، ومن الشكر ما ذكر في هذا الحديث وغيره من العقيقة، والصدقة، والتسمية الحسنة، والأذان، وغيرها؛ لينبت الله هذا الولد نباتًا صالحًا، يعبد الله تعالى على هذه الأرض، فيكون لوالده الأجر والمثوبة جزاء شكره لله تعالى.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالعقيقة ؟ ولم سميت بهذا الاسم ؟ وما معنى (رهينة) ؟

س٢ : العقيقة من حقوق الأولاد على والديهم، وضح ذلك.

س٣ : متى يشرع ذبح العقيقة ؟ اذكر الدليل على ذلك.

س٤ : اذكر ثلاثا من فوائد الحديث.

---

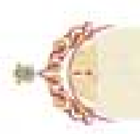
(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ٤/ ١٨٠٧ برقم (٢٣١٥).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء ٢/ ٧٠٥، برقم (٤٩٤٨)، وأخرجه أحمد ٥/ ١٩٤، والدارمي ٢/ ٢٩٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ٣/ ١٦٨٢ برقم (٢١٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الصبي يولد ٢/ ٧٤٩ برقم (٥١٠٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود ٤/ ٨٢ برقم (١٥١٤).

الحديث السابع



٧

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيّب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبر يمدّ يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك» رواه مسلم[3].



التعريف بالراوي

سبقت ترجمته في الحديث الثالث.

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
طيّب	معناه هنا: الطاهر، والمراد أن الله سبحانه وتعالى منزَّه عن النقائص والعيوب كلها.
لا يقبل إلا طيّبًا	المراد أن الله تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيباً حلالاً. وقيل: لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيّبا طاهراً من المفسدات كلها، كالرياء والعُجْب، ولا من الأموال إلا ما كان طيباً حلالاً، فإن الطيب توصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، وضدّ الطيب: الخبيث.

(١) آية ٥١ من سورة المؤمنون. (٢) آية ١٧٢ من سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٢/ ٧٠٣ برقم (١٠١٥) ورواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، سورة البقرة رقم (٢٩٨٩) وانظر تحفة الأحوذي (٨/ ٢٦٦).

إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين	أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال والعمل الصالح.
أشعث أغبر	أي متبذّل في لباسه وهيئته.
غُذِيَ	بضم الغين وتخفيف الذال المكسورة والمعنى أنه ربّي بالحرام.
فأنى يستجاب لذلك	معناه: كيف يستجاب له؟ فهو استفهام وقع على وجه التعجّب والاستبعاد.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ اللّه سبحانه وتعالى طيّب منزّه عن النقائص والعيوب كلها، فله سبحانه الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

٢ ـ اللّه تعالى طيّب يحبّ من عباده أن يكونوا طيبين في أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ الآية[١].

ووصف تعالى رسوله ﷺ بأنه يحل الطيّبات، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ... ﴾ الآية[٢]، ووصف المؤمنين بالطيبين، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ... ﴾ الآية[٣]، فالمؤمن كله طيّب: قلبه، ولسانه، وجسده، بما يسكن في قلبه من الإيمان، ويظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة، قال ﷺ لأبي هريرة: «سبحان الله، إن المسلم لا ينجس»[٤]، وبضد ذلك الكافر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... ﴾ الآية[٥].

٣ ـ كما يحب اللّه من عباده أن يكونوا طيّبين، فلا يكونوا بخلاف الطيّب ـ وهو الخبيث ـ سواء

---

(١) آية ١٠ من سورة فاطر. (٢) آية ١٥٧ من سورة الأعراف. (٣) آية ٣٢ من سورة النحل.

(٤) رواه البخاري في كتاب الغسل باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس (الفتح ١/ ٣٩٠) رقم (٢٨٣)، ومسلم في كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ١/ ٢٨٢ رقم (٣٧١).

(٥) آية ٢٨ من سورة التوبة.

بأقوالهم أو أفعالهم أو اعتقاداتهم، فالله تعالى وصف رسوله ﷺ بأنه يحل الطيبات، ويحرّم الخبائث، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴾ الآية[1].

٤ ـ مما يستنبط من الحديث الأمر في التعامل المالي بالحلال، والحذر من التعامل بالحرام، فالرسول ﷺ نبّه أن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً، وجعل صفة مشتركة بين الرسل والمؤمنين أنهم لا يأكلون إلا الطيبات من الرزق، وبناء عليه فلا يقبل عطاء أو صدقة من كسبٍ حرام.

وقد تضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على الحث على الأكل والتعامل بالحلال، والنهي عن ضده، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ... ﴾ الآية[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ... ﴾ الآية[3]، وقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ الآية[4]. وروى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام»[5].

وعن المقدام ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»[6].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»[7].

٥ ـ بين الرسول ﷺ أنه لا يقبل عند الله المال إلا إذا كان طيباً، فالصدقة من المال الحرام غير مقبولة، روى مسلم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة

---

(١) آية ١٥٧ من سورة الأعراف. (٢) آية ١٦٨ من سورة البقرة.

(٣) آية ٢٩ من سورة النساء. (٤) آية ١٩٨ من سورة البقرة.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال ٤/ ٢٩٦ رقم (٢٠٥٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٤/ ٣٠٣ رقم (٢٠٧٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٣/ ٣٣٥ برقم (١٤٧١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة ٢/ ٧٢١ برقم (١٠٤٢).

بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[1]، وفي الصحيحين مرفوعاً: «ما تصدّق عبد بصدقة من مال طيب - ولا يقبل اللّه إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه»[2].

٦ - التعامل بالمال الحرام أكلًا وشرباً ولباساً وتغذية مانع لإجابة دعاء الداعي مهما توفرت أسباب الإجابة من السفر، والتبذل، ورفع الأيدي، والإلحاح، وغيرها. قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي[3].

٧ - من أعظم ما يتقرب به إلى اللّه تعالى ويستعان به على تحقيق المطالب الدنيوية والأخروية الدعاء، وإذا حُرِم المسلم إجابة دعائه حُرِم خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة.

٨ - ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث بعض آداب الدعاء، والتي هي من أسباب الإجابة، وهي:

(أ) إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء، وروى أبو داود وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»[4]. ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق.

(ب) رفع الأيدي في الدعاء، أخرج الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما، عن سلمان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن اللّه تعالى حَيِيٌّ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين»[5].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ١/ ٢٠٤ برقم (٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيّب ٣/ ٢٧٨ برقم (١٤١٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة في الكسب الطيب ٢/ ٧٠٢ برقم (١٠١٤).

(٣) نقلًا عن جامع العلوم والحكم (آخر شرح الحديث العاشر).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب ١/ ٤٨٠، برقم (١٥٣٦)، وأخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعوة الوالدين ٤/ ٢٧٧ برقم (١٩٠٥).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء ١/ ٤٦٨ برقم (١٤٨٨)، وأخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ١٠٥، في ٥/ ٥٢٠ برقم (٣٥٥٦).

(جـ) الإلحاح على الله عز وجل بذكر ربوبيته، يقول : (يا ربّ ، يا ربّ)، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء.

الأسئلة

س١ : ما معنى قوله ﷺ : «إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا» ؟

س٢ : ما القاعدة العامة في التعامل بالأموال ؟

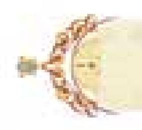
س٣ : لِمَ لَمْ تقبل إجابة هذا الداعي الذي توفرت بعض أسباب الإجابة فيه ؟

س٤ : عَدِّد ثلاثا من أسباب إجابة الدعاء.

س٥ : اذكر ثلاثا من فوائد الحديث.



الحديث الثامن



٨

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة» متفق عليه، واللفظ للبخاري[١].



التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل. حبر الأمة وإمام التفسير، أبو العباس، عبدالله ابن عمّ النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي رضي الله عنهما، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، دعا له الرسول ﷺ بسعة العلم والفقه في الدين، روى البخاري عنه ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءًا. قال: من وضع هذا؟ فأخبر، فقال: «اللهم فقهه في الدين»[٢] وفي رواية: «اللهم علمه الكتاب»[٣] وفي رواية أنه قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٤].

قال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

كان ـ رضي الله عنه ـ من أكثر الصحابة رواية للحديث، وأعلمهم بالتفسير، وأقدرهم على الاستنباط. توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثمان وستين للهجرة النبوية، وعاش إحدى وسبعين سنة[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من همّ بحسنة أو سيئة ١١/ ٣٢٣ برقم (٦٤٩١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت ١/ ١١٨ برقم (١٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء رقم (١٤٣)، ومسلم ٤/ ١٩٢٧ رقم (٢٤٧٧).

(٣) البخاري رقم (٧٥).

(٤) ينظر: مسند الإمام أحمد ١/ ٢٦٦، ٣١٤.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٦.

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
فيما يرويه عن ربه عز وجل	هذه إحدى صيغ الرواية للحديث القدسي. والحديث القدسي : هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ وأسنده إلى ربه عز وجل.
إن الله كتب الحسنات والسيئات	قال الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكون هذا من قول الله تعالى، فيكون التقدير : قال الله إن الله كتب، ويحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ يحكيه عن فعل الله تعالى. وكتب : أي : أمر الله تعالى الحفظة أن تكتب، وقيل : قدّر ذلك، وعرف الكتبة من الملائكة ذلك التقدير.
ثم بيّن ذلك	أن الله تعالى بيّن ذلك، ثم فصّله بقوله : «فمن همّ ...» الخ.
فمن همّ	الهمّ ترجيح قصد الفعل، تقول : هممت بكذا، أي : قصدته بهمّتي، وهو فوق مجرد الخاطر الذي يمر بالقلب ولا يستقر. وقيل : إذا أراد، كما وقع في بعض الروايات.
فلم يعملها	بجوارحه أو بقلبه. إلى سبع مئة ضعف : الضعف في اللغة : المثل.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ مدار هذا الحديث على عظم فضل الله تعالى ومنّه وكرمه، حيث تفضّل على عباده بأن يثبت لهم ما قصدوه من فعل الحسنات، فيكتبها حسنات لديه، وإذا انتقل إلى العمل سواء أكان عملاً قلبياً أم عملاً بالجوارح ضاعف الحسنة مضاعفة عددية من عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

٢ ـ ذكر أهل العلم أن من عوامل زيادة الحسنات ومضاعفتها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة الزيادة في الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدي النفع كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنّة الحسنة، وشرف العمل، ونحو ذلك.

٣ ـ مما يدل عليه الحديث أيضاً ما امتن الله به على عباده المؤمنين من عدم مؤاخذتهم بما يجول في خواطرهم من المعاصي التي لم يعزموا عليها ولم يستقر في قلوبهم، فإذا تركوها كتبت لهم حسنة، وإذا عملوها كتبت عليهم سيئة واحدة، ولم تضاعف مضاعفة عددية، ومما يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[1].

٤ ـ يكتب الله سبحانه وتعالى كل ما يعمله العبد في هذه الدنيا صغيراً كان أم كبيراً، دقيقاً أم جليلاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ... ﴾ الآية[2]، وقال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾[4].

فعلى المسلم أن يحرص ألّا يُكتَب عليه إلا ما كان حسنا، وإذا ما ندّ خاطره وتفكيره أو انتقل إلى عمل المعصية، فعليه أن يبادر إلى إزالتها بالتوبة والندم والاستغفار.

٥ ـ قد يتصور الإنسان أن لذته وشهوته في معصية من معاصي الله تعالى، فإذا ترك هذه الشهوة من أجل ربه تعالى، رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه، فيؤجر على هذا الترك ويثاب عليه.

٦ ـ مما يستنبط من الحديث أن الأعمال المباحة لا يثاب عليها العبد ولا يعاقب عليها إلا إذا اقترنت بنية صالحة أو فاسدة، فيتحول المباح إلى عمل صالح يؤجر عليه، أو فاسد يعاقب عليه.

٧ ـ من فضل الله تعالى ومنته وكرمه أن جعل همّ الإنسان بالعمل الصالح يكتب له حسنة ولو لم يعملها، وكذا إذا كان المسلم على عمل خير ثم حيل بينه وبينه، كمن ينوي قيام الليل فغلبته عينه، أو غلبه مرض، أو عرض له سفر، ونحو ذلك كتب له من العمل ما كان يقوم به أو ينويه ولو لم يعمله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا حنث ناسياً في الإيمان ١١/ ٥٤٨ برقم (٦٦٦٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس ١/ ١١٦ برقم (١٢٧).

(٢) آية ١٣ من سورة يس. (٣) آية ٤٩ من سورة الكهف. (٤) آية ٧، ٨ من سورة الزلزلة.

٨ ـ بعد هذا الفضل العظيم من الله، والرحمة الواسعة بمضاعفة الحسنات لمن عملها، والتجاوز عن السيئات إذا خطرت على قلبه ولم يعملها، فإن الله سبحانه يمحو السيئات بعمل الحسنات بعدها، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ : «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[2].

الأسئلة

س١ : ما معنى قوله : (إن الله كتب الحسنات والسيئات) ؟

س٢ : مدار هذا الحديث على عظم منّة الله على خلقه، وضّح ذلك.

س٣ : اذكر ثلاثة من عوامل زيادة الحسنات ومضاعفتها.

س٤ : استنبط فائدتين من الحديث مما لم يذكر في شرحه.

س٥ : متى يثاب العبد على الأفعال المباحة أو يعاقب ؟

---

(١) آية ١١٤ من سورة هود.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس ٤/ ٣١٣، برقم (١٩٨٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٥٣، ١٥٨، ٢٢٨.



الحديث التاسع

٩ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لـي وَلِيًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه» رواه البخاري[1].



التعريف بالراوي

سبقت ترجمته في الحديث الثالث.

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
إن الله تعالى قال	هذه من صيغ الأحاديث القدسية.
من عادى لي وليًّا	جاء في رواية : «من آذى لي وليًّا»، وفي رواية أخرى : «من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة»[2].
والوليّ	من الموالاة، وأصلها : القرب، وأصل المعاداة : البعد، والولي : هو القريب من الله بعمل الطاعات والكف عن المعاصي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع ١١/ ٣٤٠ برقم (٦٥٠٢).
(٢) تنظر هذه الروايات في جامع العلوم والحكم ص ٣١٣، ٣١٤ (شرح الحديث الثامن والثلاثين).



فقد آذنته بالحرب	يعني : فقد أعلمته أني محارب له حيث كان محارباً لي بمعاداته أوليائي.
وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه	لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم وتجب موالاتهم، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقرّبهم منه، وأوّل ذلك أداء الفرائض.
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها	المراد من هذا أن من اجتهد بالتقرّب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قرّبه إليه ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على المراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة شاهداً له بعين البصيرة، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به.
ولئن سألني لأعطينّه ... إلخ	يعني أن المحبوب المقرّب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء أعاذه منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مُجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ فعل الطاعات واجباتها ومستحباتها والبعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها تؤهل العبد لأن يكون من أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه، ويحب من يحبهم.

٢ ـ تجب موالاة أولياءالله ومحبتهم، وتحرم معاداتهم، كما أنه تجب معاداة أعدائه وتحرم موالاتهم، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ... ﴾ الآية[1]، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ... ﴾[2]، ووصف تعالى أحبّاءه الذين يحبهم ويحبونه بأنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين.

(١) آية ١ من سورة الممتحنة. (٢) آية ٥٦ من سورة المائدة.

٣ ـ دلّ الحديث على أن أولياء الله تعالى على قسمين (١) :

(أ) الذين تقربوا إليه بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضل الأعمال، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عمّا حرّم الله، وصدق النية فيما عند الله».

(ب) الذين تقربوا إليه بعد أداء الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن المكروهات، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال : «ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه».

٤ ـ أن من أحبّه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وعبادته، واستأنس بعمل ما يقرّبه إليه، فأوجب له ذلك القرب منه والزلفى لديه والحظّ عنده، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ ﴾ (٢).

٥ ـ محبة الله تعالى للعبد مطلب من أهم المطالب بل أهمها، مَن نالها نال خيري الدنيا والآخرة، والمؤمن الحق الذي يطمع أن يكون من أولياء الله يسعى لهذا المطلب النفيس، ويتحقق هذا المطلب بأمور :

(أ) أداء الفرائض التي فرضها الله سبحانه وتعالى : «وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه» من تحقيق التوحيد، وأداء الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، وصيام رمضان، وحجّ بيت الله الحرام، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والتخلق بالأخلاق الحسنة، من الصدق، والكرم، وطيب الكلام، والتواضع، وغيرها.

(ب) البعد عن المحرمات صغيرها وكبيرها، وعمّا استطاع من المكروهات.

(جـ) التقرب إلى الله بالنوافل، من نوافل الصلوات والصدقات والصيام وأعمال البر والذكر وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما يذكر بخصوصه هنا :

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ص ٣١٦ .

(٢) آية ٥٤ من سورة المائدة.



(١) كثرة تلاوة القرآن الكريم بتفكر وتأمّل، وسماعه بتدبّر وتفهّم، وحفظ ما تيسّر منه، وترديده والأنس به، فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم، وغاية مطلوبهم، ومما يعين على ذلك بعد الدعاء والعزم والتصميم: المداومة على قراءة جزء في كل يوم وليلة، وعدم التنازل عن ذلك قدر الإمكان.

(٢) كثرة ذكر الله تعالى باللسان والقلب، جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[١]، وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... ﴾ الآية[٢].

(٣) محبة أحبابه وأوليائه فيه، ومعاداة أعدائه فيه، روى الإمام أحمد، عن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم تلا هذه الآية:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ... ﴾ الآية[٣].

٦ ـ مما يستنبط من هذا الحديث أن دعوى أي طريق يوصل إلى محبة الله تعالى وولايته غير طريق طاعته وموالاته التي شرعها لها لسان رسوله ﷺ دعوى كاذبة باطلة، كما كان المشركون يعبدون غير الله زاعمين أنهم يتقربون بذلك إلى الله كما قال تعالى عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... ﴾ الآية[٤]، وكما حكى الله عن اليهود والنصارى أنهم قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ... ﴾ الآية[٥]، مع إصرارهم على تكذيب رسله، وارتكاب نواهيه، وترك فرائضه، وكل من سلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ ١٣/ ٣٨٤ برقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله ٤/ ٢٠٦١ برقم (٢٦٧٥).

(٢) آية ١٥٢ من سورة البقرة.

(٣) آية ٦٢ من سورة يونس. والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٣٤٣، والطبري في تفسيره ١١/ ١٣٢، وأخرجه ابن حبان كما في الإحسان ٢/ ٣٣٢ برقم (٥٧٣).

(٤) آية ٣ من سورة الزمر. (٥) آية ١٨ من سورة المائدة.

طريقاً غير ما شرعه اللّه تعالى ورسوله ﷺ فإنه لن يصل إلى ولاية اللّه ومحبته.

٧ ـ كل مسلم يطمع أن تستجاب دعوته، وأن يقبل عمله، وأن يُعطى سؤاله، ويُعوَّذ ممّا استعاذ منه، وهذه مطالب نفيسة، ومنح عظيمة لا تحصل إلا لمن سلك طريق ولاية اللّه تعالى بعمل الفرائض وما استطاع من المستحبات والنوافل، يحوطها النية الخالصة والسير على نهج محمد ﷺ.

الأسئلة

س١ : ما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي : «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»؟ مستشهداً ببعض النصوص على ما تقول.

س٢ : اذكر بعض المؤهلات التي تجعل العبد وليًا من أولياء اللّه.

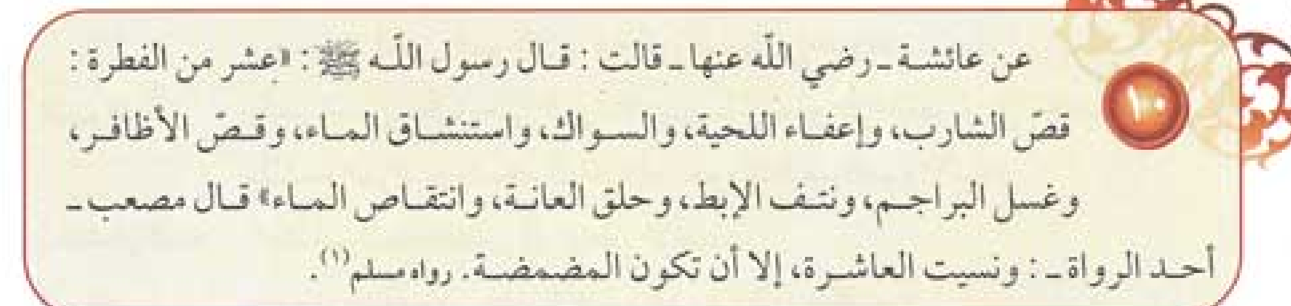
س٣ : أولياء اللّه قسمان، اذكرهما مع بيان أيهما أعلى درجة.

س٤ : يدّعي بعض الناس محبة للّه تعالى ومحبة رسوله ﷺ مع مخالفة أوامرهما وارتكاب نواهيهما، فما صحة هذه الدعوى ؟ دلّل على ما تقول.

س٥ : اذكر فائدتين من الحديث.



الحديث العاشر



١٠ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قصّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصّ الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» قال مصعب ـ أحد الرواة ـ: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة. رواه مسلم[1].

التعريف بالراوي

هي الصدّيقة بنت الصدّيق، عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، عقد عليها النبي ﷺ وعمرها ست سنين، وذلك قبل الهجرة بسنتين، ودخل بها وهي ابنة تسع سنين في السنة الثانية للهجرة، وهي من أكثر الصحابة رواية للحديث وبخاصة ما يتصل بحياة النبي ﷺ الأسرية داخل بيته، اشتهرت ـ رضي الله عنها ـ بفقهها وعلمها وحفظها وأدبها، توفيت ـ رضي الله عنها ـ سنة سبع وخمسين للهجرة، وصلّى عليها أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ[2].



المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
الفطرة	السنّة، والمعنى: من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عشر، وقيل: هي الدين، وقوله: «عشر من الفطرة» لا يدل على حصر الفطرة بذلك، فالعدد غير مقصود لذاته، وإنما المراد أن هذه العشر من الفطرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ١/ ٢٢٣ برقم (٢٦١).
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٣.



قص الشارب	أصل القص: تتبع الأثر، ويطلق على إيراد الخبر تامًّا على من لم يحضره، ويطلق على قطع شيء من شيء بآلة مخصوصة، والمراد هنا: قص الشعر النابت على الشفة العليا، من غير استئصال.
إعفاء اللحية	الإعفاء: الترك، واللِّحية: بكسر اللام، وهي اسم لما نبت على الخدين والذَّقَن، وجمعها: لِحَى بكسر اللام، وحكى ضمها، وإعفاؤها: تركها.
السواك	بكسر السين، يطلق على العود الذي يتسوَّك به، وعلى الفعل، قيل: إنه مأخوذ من ساك إذا دلك، والمراد به: استعمال عود أو نحوه لتنظيف الفم والأسنان.
استنشاق الماء	اجتذاب الماء بالنفَس إلى باطن الأنف.
البراجم	جمع برجمة، وهي عقد الأصابع التي في ظهر الكف.
العانة	الشعر الذي فوق ذكَر الرجل وحواليه، وكذا الشعر الذي حوالي فرج المرأة.
انتقاص الماء	أي: الاستنجاء.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ دين الإسلام دين الطهر والنظافة الحسيّة والمعنوية، نظافة الظاهر ونظافة الباطن، ولذلك جعل الرسول ﷺ هذه الأمور كلّها من السنة والدين، يؤجر فاعلها، بعضها يدخل ضمن الواجبات، وبعضها في المستحبات.

٢ ـ قصّ الشارب وحفّه، وإكرام اللحية وإعفاؤها واجب من الواجبات، ومما يتميز به المسلم عن غيره، روى البخاري وغيره عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، وفّروا اللحى، وأحفوا الشوارب»[١]، وعنه أيضاً ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى»[٢].

ويحرم حلق اللحية وتقصيرها، ويكره حلق الشارب من أصله.

٣ ـ من السنن المؤكدة، ومن خصال الفطرة: السواك الذي هو دلك الأسنان بعود ونحوه لتنظيفها،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ١٠/ ٣٤٩ برقم (٥٨٩٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ١/ ٢٢٢ برقم (٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحى ١٠/ ٣٥١ برقم (٥٨٩٣).

وتطييب رائحة الفم، وكل ما يؤدي إلى ذلك فهو في معنى السواك، وقد ورد الحث عليه في عدد من النصوص، منها : ما رواه الشيخان، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1]، وفي رواية : «عند كل وضوء»، وروى النسائي في سننه، والبخاري معلقًا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[2].

ويتأكد استحباب السواك عند الوضوءِ، والصلاةِ، ودخولِ المنزل، وقراءةِ القرآن، والقيامِ من النوم، وتغيّرِ رائحة الفم.

٤ ـ مما ذكر في الحديث من سنن الفطرة الاستنشاق، وهو واجب في الوضوء والغسل، إذ هو داخل ضمن الوجه، وجميع مَن وصف وضوء النبي ﷺ ذكر فيه الاستنشاق.

٥ ـ من مكملات النظافة الظاهرة تقليم الأظافر وقصّها، لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة. ومن المعلوم أن اليد اليسرى يباشر فيها الإنسان الأقذار، فقد يؤدي ذلك إلى التصاق النجاسات باليد.

٦ ـ في جسم الإنسان مواضع ينبغي أن يتعاهدها بالتنظيف كالبراجم التي قد يعلق بها شيء من الأوساخ، فعليه أن يقوم بغسلها وتنظيفها.

٧ ـ من آداب النظافة : حلق العانة، ونتف الإبط، والحكمة في ذلك إزالة أو تخفيف ما تسببه تلك الشعور من الرائحة الكريهة، لتبقى رائحة المسلم طيبة كمَخبَره. ومما ينبه إليه أن النتف لا يلزم بل يزيل شعر الإبط بأي مزيل.

٨ ـ من الواجب على المسلم الاستنجاء بالماء لإزالة أثر الخارج من السبيلين حتى ينظف المحل، إذ لو بقي بدون تنظيف لأدى إلى تنجيس الجسد، وحينئذ لا تقبل لصاحبه صلاة.

٩ ـ من آداب الإسلام : احترام الآخرين وتقديرهم، وعدم الإساءة إليهم حتى بالرائحة، فينبغي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة ٢/ ٣٧٤، برقم (٨٨٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك ١/ ٢٢٠ برقم (٢٥٢).

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك ١/ ١٠ برقم (٥)، وذكره البخاري معلقًا، كتاب الصيام، باب سواك الرطب واليابس للصائم ٤/ ١٥٨.

أن تكون رائحة المسلم طيبة، وجسمه نظيفاً، فمن الإحسان إلى المخالط والجليس الكفّ عما يتأذى بـه من رائحـة كريهـة، ولذا جعل الإسلام هذه الخصال من سنـن الفطـرة.

١٠ ـ شخصية المسلـم شخصيـة متميزة في مظهرها ومخبـرها، في ظاهـرها وباطنها، فالمسلم متمسك بالإسـلام عقيدة وخلـقاً وتعامـلاً، فكذلك في ظاهرة ملتحيـاً، قـاصًا شاربـه، مخالفًا بذلك اليهود والنصـارى والمجـوس وغيرهم.

١١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾ الآية[1]، فالله جل وعلا خلق الناس في أحسن تقويم، وندبهم إلى ألا يشوّهوا هذه الصورة بما يقبحها، وأن يحافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التألف المطلوب؛ لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمَد رأيه، والعكس بالعكس.

١٢ ـ من السنـة البداء باليمين فيما ينبغي تنظيفـه؛ فيبدأ بتقليم أظافـر يـده اليمنى، وبقصّ الجهـة اليمنـى من الشارب، وينتـفِ إبطـه الأيمن، وهكذا.

١٣ ـ ذكر أهل العلم أن قصّ الأظافر والشارب، وحلق العانـة، ونتف الإبط يكون حسب الحاجـة إليه، فلا يترك أظافـره تطول، أو شاربـه، ونحو ذلك، واستحب بعض العلماء تعاهد ذلك كلـه من الجمعة إلى الجمعـة؛ لاستحباب الغسل والنظافـة في ذلك اليـوم.

الأسئـلـة

س١ : مـا معنى : «من الفطرة»، «البراجم» ؟

س٢ : ما حكم ما يلي، مع الدليل : قص الأظافـر، نتف الإبـط، حلق اللحيـة.

س٣ : يتأكـد السواك في مواضع، اذكـر ثلاثـة منها.

س٤ : هل الفرشـة ومعجون الأسنان من السـواك ؟ وضّـح ذلك.

س٥ : النظافـة مطلب عام، فاذكـر توجيه الإسلام في ذلك من خلال دراستك للحديـث.

س٦ : اذكـر فائدتين مـن الحديـث.

---

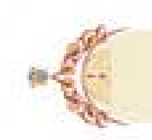
(١) آية ٣ من سورة التغابن.





ثانياً : الثقافة الإسلامية





الشمائل[1] المحمدية

الرسول ﷺ قدوة

بعث الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ للناس كافة، يبشرهم وينذرهم، ويدعوهم إلى دين الله تعالى، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فقام رسول الله ﷺ بهذه المهمة خير قيام، وتمثَّل هذا الدينَ بأقواله وأفعاله، وفي سلوكه وتصرفاته، وفي أخلاقه وتعامله مع الناس، وقد أثنى عليه الله سبحانه وتعالى فقال جلَّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[2].

وأمر سبحانه الخلق أن يقتدوا به، ويتأسَّوا بفعاله، ويهتدوا بهديه، ويتخلقوا بأخلاقه، فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[3].

ومن هنا فقد نقل السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ أخلاق النبي ﷺ وشمائله، وصفاته الخلقية للتأسّي به والسير على طريقه، والاقتداء به، والاهتداء بهديه. وهنا سوف نذكر بعض هذه الشمائل بشيء من الإيجاز، لعلها تكون نبراساً يحتذيه المسلم، ونوراً يقتبس منه لحياته، فينخرط في سلك المتقين الأبرار.

أولاً: من صفاته الخَلقِية

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن[4] ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق[5]، ولا بالآدم[6]، ولا بالجعد القَطَط[7]، ولا بالسَّبِط[8]، بعثه الله على رأس أربعين سنة...**» الحديث[9].

---

(١) الشمائل: هي الصفات والسمات، وشمائل الرسول ﷺ صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة.

(٢) آية ٤ من سورة القلم. (٣) آية ٢١ من سورة الأحزاب. (٤) الطويل البائن: الطويل الظاهر الطول.

(٥) الأمهق: الشديد البياض. (٦) الآدم: الأسمر.

(٧) الجعد القطط: بفتح الجيم وسكون العين، وفتح القاف، وهو الشعر الذي فيه التواء وانقباض.

(٨) السبط بالفتح ويكسر: الشعر المسترسل.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ في ٦/ ٥٦٤ برقم (٣٥٤٨).

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كان رسول الله ﷺ رجِلًا مربوعا[1]، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمّة[2] إلى شحمة أذنيه، عليه حلّة حمراء[3]، ما رأيت شيئا قطّ أحسن منه**»[4].

ثانياً: سلوكه في حياته، وصفاته الخُلقية ﷺ

لباس رسول الله ﷺ:

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه القميص»[5].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدّ[6] ثوبا سمّاه باسمه: عمامة، أو قميصا، أو رداء، ثم يقول: «اللهم لك الحمد كما كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له»[7].

وعن حذيفة بن اليمان، قال: أخذ رسول الله ﷺ بعَضَلة ساقي أو ساقِه، فقال: «هذا موضع الإزار، فإن أبيت فأسفل، فإن أبيت فلا حق للإزار في الكعبين»[8]، والمعنى: لا تستر الكعبين بالإزار.

مشي رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجه، ولا رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث»[9].

---

(١) رجِلا: بكسر الجيم، وهو وصف للشعر، ومربوعا: ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٢) الجمّة: بضم الجيم وتشديد الميم، وهي ما سقط من شعر الرأس. (٣) الحلّة: ثوبان: إزار ورداء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٦/ ٥٦٥ برقم (٣٥٥١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب اللبس، باب ما جاء في القميص ٢/ ٤٤٠ برقم (٤٠٢٥).

(٦) إذا استجد، أي: لبس ثوباً جديدًا.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في اللباس ٢/ ٤٣٩ برقم (٤٠٢٠).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب اللباس، باب في مبلغ الإزار ٤/ ٢١٧ برقم (١٧٨٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه، مناقب النبي ﷺ، باب في صفة النبي ﷺ ٥/ ٥٦٣ برقم (٣٦٤٨).

عيش رسول الله ﷺ :

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال : «ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَل [1] ما يملأ بطنه» [2].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «إنا كنّا آل محمد، نمكث شهرًا ما نستوقد بنار، إنْ هو إلا التمر والماء» [3].

كلام رسول الله ﷺ :

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «ما كان رسول الله ﷺ يَسرد سردكم هذا، ولكنه يتكلم بكلام بيِّنُهُ فصلٌ، يحفظه مَن جلس إليه» [4].

وعن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه» [5].

ضحك رسول الله ﷺ :

عن عبدالله بن الحارث بن جَزْء ـ رضي الله عنه ـ قال : «ما رأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول الله ﷺ». وفي رواية أخرى قال : «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسّما» [6].

مُزاح رسول الله ﷺ :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير : «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير» [7] ؟ [8]. قال الترمذي : وفِقْه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه أنه كنّى غلامًا صغيراً، فقال له : «يا أبا عمير» [9].

---

(١) الدَّقَل : رديء التمر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٨٤ برقم (٢٩٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٨٢ برقم (٢٩٧٢).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ ٥/ ٦٠٠ برقم (٣٦٣٩)، وأخرج البخاري الجملة الأولى من الحديث، في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٦/ ٥٦٧، رقم (٣٥٦٠)، وأخرجها مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة ٤/ ١٩٤٠ رقم (٢٤٩٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب مَن أعاد الحديث ثلاثا ليُفهم عنه ١/ ١٨٨ .

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ ٥/ ٥٦١ برقم (٣٦٤٢).

(٧) النُّغَير : بضم النون المشددة وفتح الغين، وهو طائر صغير.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ١٠/ ٥٨٢ (٦٢٠٣).

(٩) ينظر : كتاب الشمائل للترمذي عند روايته لهذا الحديث ص ١٩٧، في باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله ﷺ.

بكاء رسول الله ﷺ :

عن عبدالله بن الشِّخِّير ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المِرجل[١] من البكاء[٢].

تواضع الرسول ﷺ :

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تطروني كما أطرَت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا : عبدالله ورسولـه»[٣].

أي : لا تبالغوا في مدحي كما بالغت النصارى في مدح نبيّ الله عيسى عليه السلام، فجعلوه إلها، أو ابن إلـه.

معاملته ﷺ لأهل بيته :

عن عمرة قالت : قيل لعائشة رضي الله عنها : ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : «كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاتَه، ويخدم نفسه»[٤].

خلق رسول الله ﷺ :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي : أفّ، قط، وما قال لي لشيء صنعته : لم صنعتَه، ولا لشيء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مَسَسْت خزّاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قطّ ولا عطراً كان أطيب من عَرَق النبي ﷺ[٥].

---

(١) أزيز كأزيز المرجل : أي : غليان كغليان القدر.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة ١/ ٣٠٠ برقم (٩٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله : (واذكر في الكتاب مريم ...) ٦/ ٤٧٨ برقم (٣٤٤٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٥٦، وصحّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٧١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ١٠/ ٤٥٦ برقم (٦٠٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ٤/ ١٨٠٤ .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحّشاً[1]، ولا صخّابًا في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح[2].

الأسئلة

س١ : اذكر صفات النبي ﷺ الخَلْقية، مع بيان معاني المفردات الغريبة.

س٢ : أجب بـ (صح) أو (خطأ) وصوّب الخطأ إن وُجد :

(أ) من السنة أن يمشي الرجل ببطء ( )

(ب) من السنة أن تستر الكعبين بالإزار ( )

(جـ) من السنة أن يخدم الإنسان نفسه ( )

س٣ : كيف كان كلام النبي ﷺ ؟

---

(١) الفاحش : ذو الفحش في طبعه في أقواله وصفاته، والمتفحش : متكلّف الفحش.

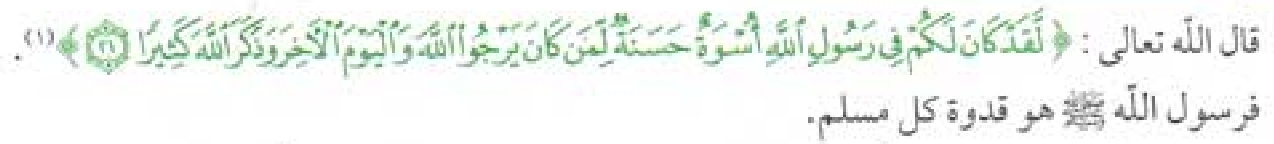
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خُلُق النبي ﷺ ٤/ ٣٢٤ برقم (٢٠١٦).

● للاستزادة تنظر : الشمائل، للترمذي، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم.




صورٌ من خلق النبي ﷺ وأصحابه

الرسول ﷺ هو القدوة

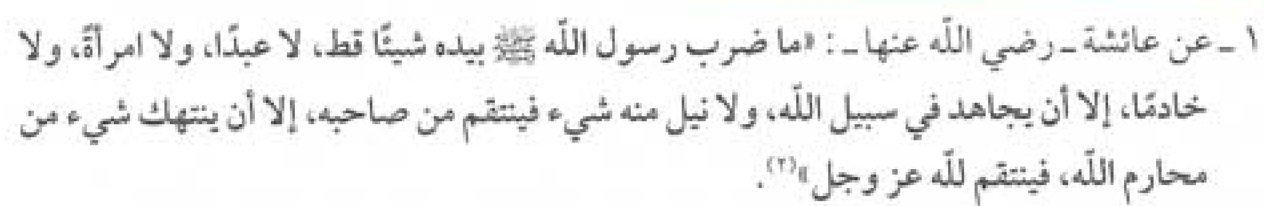
قال الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

فرسول الله ﷺ هو قدوة كل مسلم.

وقد عايش أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ حياته كلها بين مقل ومستكثر، فكانت أقواله التي يسمعونها، وأفعاله التي يرونها موضع اتّباعهم ما استطاعوا، ثم نقلوا أخباره ﷺ لمن بعدهم؛ ليستمر أثر التربية النبوية عبر الأجيال. وقد اجتمع فيه ﷺ الأخلاق النبيلة كلها، فكان أجود الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس،...، فكانت أفعاله، وأقواله، تربية لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ولمن جاء بعدهم.



صورٌ من كريم أخلاق النبي ﷺ



١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط، لا عبدًا، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[2].

٢ ـ قال أنس ـ رضي الله عنه ـ : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال : يا محمد ! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء[3].

---

(١) آية ٢١ من سورة الأحزاب.

(٢) رواه مسلم، في الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام ٤/ ١٨١٤ رقم (٢٣٢٨)، وطرفه الأخير متفق عليه بمعناه، انظر : صحيح البخاري رقم (٦٧٨٦)، ومسلم، رقم (٢٣٢٧)، كلاهما من حديث عائشة.

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب البرد والحبر والشملة (الفتح ١٠/ ٢٧٥)، رقم (٥٨٠٩)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠ رقم (١٠٥٧).

٣ ـ قال أنس ـ رضي الله عنه ـ : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت : والله لا أذهب ـ وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ ـ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال : فنظرت إليه وهو يضحك، فقال : يا أنيس ! أذهبت حيث أمرتك ؟ قال : قلت : نعم، أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته : لِمَ فعلتَ كذا وكذا، أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا[1].

صورٌ من أخلاق الصحابة رضي الله عنهم

١ ـ قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ : «أما صاحبكم فقد غامر»[2]، فسلّم، وقال : يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال : (يغفر الله لك يا أبا بكر) ثلاثا. ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل : أثَمَّ أبو بكر ؟ فقالوا : لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال : يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين)، فقال النبي ﷺ : «إن الله بعثني إليكم، فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟» (مرتين)، فما أوذي بعدها[3].

٢ ـ عن عائذ بن عمرو المزني ـ رضي الله عنه ـ أن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب، وبلال، في نفر، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها.

---

(١) رواه مسلم، في الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ٤/ ١٨٠٥ رقم (٢٣١٠)، (٢٣٠٥).

(٢) أي خاصم.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلًا (الفتح ٨/ ١٨) رقم (٣٦٦١).

فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال : «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»، فأتاهم فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا، يغفر الله لك يا أُخَيَّ[1].

٣ ـ عن سنان بن سلمة الهذلي، قال : خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ معه الدِّرَّة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال : وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته، فقلت : يا أمير المؤمنين، هذا ما تُلْقِي الريح، قال : فنظر إليه في إزاري، فلم يضربني، فقلت : يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يدي، وسيأخذون ما معي، قال : كلا، امش، قال : فجاء معي إلى أهلي[2].

٤ ـ عن عبدالله الرومي قال : كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل : لو أمرت بعض الخدم فكفَوك، فقال : لا، إن الليل لهم يستريحون فيه[3].

٥ ـ اشترى علي ـ رضي الله عنه ـ تمرًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال له رجل : أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال : لا، أبو العيال أحق أن يحمل[4].



الأسئلة

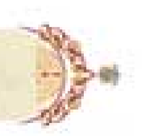
س١ : الرسول ﷺ هو القدوة، وضّح هذا المعنى، مستشهداً لما تقول.

س٢ : اذكر صورتين تستشهد بهما على كريم أخلاق النبي ﷺ.

س٣ : تربى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على ما رأوه وسمعوه من خلق النبي ﷺ، اذكر صورتين، مستشهدا بهما على هذا المعنى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سلمان وصهيب ٤/ ١٩٤٧ رقم (٢٥٠٤).
(٢) حياة الصحابة ٢/ ٤٥٦، وعزاه لابن سعد.
(٣) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٥٨، وابن سعد في الطبقات (انظر : حياة الصحابة ٢/ ٤٥٧).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٥٥١).



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



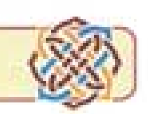
المراد بالمعروف والمنكر

المعروف في اللغة : المعلوم، تقول : عرفه يعرفه معرفة وعرفانا : علمه، والمعروف، ضد المنكر، وكلمة المعروف تتضمن المعرفة والاستحسان[1].

والمعروف شرعاً : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى، والتقرّب إليه بفعل الواجبات والمندوبات[2].

والمنكر : ضد المعروف، وهو : كل ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرهه[3].

ومن خلال هذين التعريفين نلحظ شمول المعروف والمنكر لجميع أصول الشريعة وفروعها، في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والسلوك، والمعاملات، سواء أكانت واجبة أم محرمة، مندوبة أم مكروهة، فما كان منها من خير يدخل في باب المعروف، وما كان من شر فيدخل في باب المنكر.



حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

دلّت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا إجماع الأمة، ولكن هذا الوجوب وجوب كفائي، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، يقول تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[4] فقوله : (ولتكن) أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

ويقول تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴾ الآية[5]، وقال تعالى عن المنافقين : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ... ﴾ الآية[6]، فجعل سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة فارقة بين المؤمنين والمنافقين.

---

(١) ينظر : القاموس المحيط ٣/ ١٧٨ . (٢) ينظر : النهاية لابن الأثير ٣/ ٢١٦، وغيره. (٣) النهاية ٥/ ١١٥ .
(٤) آية ١٠٤ من سورة آل عمران. (٥) آية ٧١ من سورة التوبة. (٦) آية ٦٧ من سورة التوبة.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، فقوله ﷺ: «فليغيره» أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

أما الإجماع فقال النووي رحمه الله: «وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة والإجماع»[2].

أما كونه وجوباً كفائياً فهذا ما عليه جمهور الأمة، يقول ابن العربي المالكي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: «في هذه الآية دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية»[3].

الحكمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله: الأمر بالمعروف له ثلاثُ حِكَم:

الأولى: إقامة حجة الله على خلقه، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...﴾ الآية[4].

الثانية: خروج الأمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف، كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى قومٌ منهم في السبت: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ...﴾ الآية[5].

الثالثة: رجاء النفع للمأمور، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ...﴾[6].[7]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ برقم (٧٨).

(٢) شرح النووي على مسلم ٢/ ٢٢.

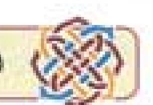
(٣) أحكام القرآن ١/ ٢٦٢.

(٤) آية ١٦٥ من سورة النساء.

(٥) آية ١٦٤ من سورة الأعراف.

(٦) آية ٥٥ من سورة الذاريات.

(٧) أضواء البيان ٢/ ١٧٦ بتصرف يسير.



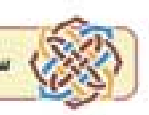
فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات هذا الدين، ومن دعائمه الأساسية، ومن مميزاته الظاهرة، وهو من أكبر عوامل الصلاح والإصلاح، به يعلو الحق، ويندحر الباطل، وبه تتفشى السعادة والأمان، وينتشر الخير والإيمان، وفيه أجر عظيم، وثواب جزيل لمن قام به مخلصاً صادقاً، دلّ على هذا نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك:

(أ) قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1]، فجعل سبحانه الرحمة مترتبة على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(ب) وقال سبحانه مثنياً على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، جاعلًا عاقبتهم الفلاح:
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

(جـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من مصائب الدنيا وعذاب الآخرة، يقول تعالى:
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[3].



سوء عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للعن الله تعالى وغضبه ومقته وحلول عقابه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4].

---

(١) آية ٧١ من سورة التوبة.
(٢) آية ١٠٤ من سورة آل عمران.
(٣) آية ١٦٥ من سورة الأعراف.
(٤) آية ٧٨ من سورة المائدة.



شروط وجوب إنكار المنكر

أولاً : الشروط المتعلقة بالآمر والناهي :

١ ـ الإيمان، فمن كان غير مسلم فلا يلتزم بهذا الواجب.

٢ ـ التكليف، بمعنى أن يكون الآمر والناهي مكلفاً، فمن لم يكن كذلك فلا يجب عليه الأمر والنهي.

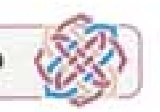
٣ ـ القدرة، فمن لم يكن قادراً فلا يجب عليه إلا الإنكار بالقلب، بمعنى أن يكره المنكر ويبغضه.

ثانياً : الشروط المتعلقة بالمنكر الذي يجب إنكاره :

١ ـ تحقق كون الفعل منكراً، فلا يجوز الإنكار بالظن والاحتمال.

٢ ـ أن يكون موجوداً في الحال، وصاحبه مباشر له وقت النهي.

٣ ـ أن يكون ظاهراً دون تجسس، فإذا كان إنكار المنكر متوقفاً على التجسس، فلا يجوز الإنكار؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[1]، ولأن للبيوت وما شابهها حرمة لا يجوز انتهاكها بغير مبرر شرعي.



من الآداب التي يلتزمها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

١ ـ الإخلاص، لقوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ... ﴾ الآية[2]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أنواع العبادة.

٢ ـ العلم، فلا ينكر المنكر بدون علم، وإلا وقع في محظورات شرعية، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾ الآية[3].

٣ ـ الحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب اللطيف مع إيضاح الحق، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ الآية[4] وقال سبحانه لموسى

---

(١) آية ١٣ من سورة الحجرات.
(٢) آية ٢ من سورة الزمر.
(٣) آية ١٠٨ من سورة يوسف.
(٤) آية ١٢٥ من سورة النحل.



وهارون ـ عليهما السلام ـ في بيان مخاطبتهما لفرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، وقال سبحانه لنبينا محمد : ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ... ﴾ الآية[2].

٤ ـ الصبر والحلم، فالأمر والنهي يحتاجان إلى ذلك؛ قال تعالى في وصية لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ... ﴾[3].

٥ ـ مراعاة المصالح والمفاسد، فلا يأمر أو ينهى إلا إذا غلبت المصلحة على المفسدة، أما إذا غلبت المفسدة فلا يجوز الأمر والنهي؛ لئلا يقع الآمر والناهي في منكر أعظم من المنكر الذي يريد إنكاره[4].

٦ ـ دفع المنكر بأيسر ما يندفع به، فلا يجوز أن يُدفع المنكر بوسيلة أكبر من الوسيلة المناسبة لدفعه.

٧ ـ الإنكار بحسب درجاته، كما بينه حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[5]. فبيّن الحديث أن الإنكار درجات، أعلاها باليد، وأدناها بالقلب، ولكن لا يغير المنكر بالأشد إذا كان يستطاع تغييره بالأخف، فما يغير باللسان لا يلجأ إلى تغييره باليد، وهكذا.



من الفوائد المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ ـ البعد عن عقاب الله وعذابه، فترك المنكر بدون إنكار سبب للعقوبة.

٢ ـ التعاون على فعل الخير والمعروف.

٣ ـ أمن المجتمع وطمأنينته، إذ به يندفع الشر، ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

٤ ـ فيه تقليل للشر، وإزالة للمظاهر السيئة في المجتمع، التي قد تدعو للفساد وتزيّنه حتى عند من لا يفكر فيه.

---

(١) آية ٤٤ من سورة طه. (٢) آية ١٥٩ من سورة آل عمران. (٣) آية ١٧ من سورة لقمان.
(٤) انظر في هذه الجزئية إعلام الموقعين لابن القيم ٣/ ١٥ ـ ١٦ . (٥) تقدم تخريجه.



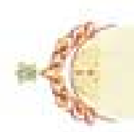
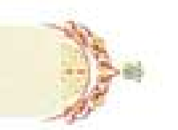
الأسئلة

س١ : ما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستدلًا لما تقول ؟

س٢ : وضح الحكمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

س٣ : ما شروط وجوب إنكار المنكر ؟

س٤ : متى يكتفى بالإنكار بالقلب ؟ دلل على ما تقول.

الصبر

معنى الصبر

الصبر لغة : الحبس والكفّ والمنع.

أما معناه الشرعي، فتأتي الإشارة إليه في ذكر أنواع الصبر، إذ لكل نوع مفهوم.

حكم الصبر

ينقسم ذلك إلى أقسام[1] :

١ ـ صبر واجب : وهو ثلاث أنواع : الصبر عن المحرمات بتركها، وعلى الواجبات بفعلها، وعلى المصائب التي يقدرها اللّه على العبد، كالمرض، والفقر، وموت القريب، ونحو ذلك.

قال ابن تيمية رحمه اللّه : الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين[2]. وهذا هو الذي جاءت النصوص بالحث عليه، وهو المراد عند الإطلاق.

٢ ـ صبر مستحب : وهو الصبر عن المكروهات بتركها، وعلى المستحبات بفعلها، ونحو ذلك، كالصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

٣ ـ صبر محرّم : كالصبر عن الطعام والشراب حتى الموت، وصبر الإنسان على ما فيه هلاكه، كحريق أو كافر يريد قتله، أو صبره على من أراده وأهله بفاحشة.

٤ ـ صبر مكروه : كالصبر على فعل المكروه، وترك المستحب.

٥ ـ صبر مباح : كالصبر عن الأكل فترة لا يحصل بها ضرر، أو على البرد فترة لا يحصل له به أذى.

---

(١) انظر : عدة الصابرين ص ٥٠ .

(٢) انظر : مدارج السالكين (منزلة الصبر)، وأول كتاب الآداب الشرعية، لابن مفلح.



١ ـ أنه ما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١]. ولأن الصوم من الصبر فإن ثوابه أيضاً غير محسوب، قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به...»[٢].

٢ ـ ما تضمنته هذه الآية العظيمة من البشارة لهم، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[٣].

٣ ـ معيّة الله الخاصة، ومحبته للصابرين، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[٥].

٤ ـ أن الصبر خير لأصحابه، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٦]، وقال ﷺ: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[٧].

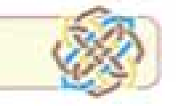
٥ ـ أن الله أوجب لهم الجزاء بأحسن أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٨].

---

(١) آية ١٠ من سورة الزمر.
(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك ١٠/ ٣٦٩ رقم (٥٩٢٧)، ومسلم، في الصيام، باب فضل الصيام ٢/ ٨٠٧، رقم (١١٥١). واللفظ له.
(٣) آية ١٥٥ ـ ١٥٧ من سورة البقرة.
(٤) آية ٤٦ من سورة الأنفال.
(٥) آية ١٤٦ من سورة آل عمران.
(٦) آية ١٢٦ من سورة النحل.
(٧) رواه البخاري في الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (الفتح ٣/ ٣٣٥)، رقم (١٤٦٩)، ومسلم، في الزكاة، باب فضل التعفف والصبر ٢/ ٧٢٩ رقم (١٠٥٣).
(٨) آية ٩٦ من سورة النحل.

أهميّة الصبر

لا يمكن أن تستقيم حياة امرئ بدون الصبر، فهو محتاج إليه في صلاح دينه ودنياه، إذ إن كل عمل ولا بد أن يكون فيه كلفة ومشقة، قَلَّت هذه الكلفة أو عظمت، ولا بد لذلك من صبر يناسب العمل لمن أراد حصوله، ولذلك جاءت النصوص بالحث عليه، حتى قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «الصبر نصف الإيمان»[1]، وقال العلماء : الإيمان نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر[2].



أنواع الصبر

١ ـ صبر على طاعة الله عز وجل، والمراد به : حبس النفس على القيام بالطاعة ومداومتها، كالصبر على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع المسلمين، والصبر على إخراج الزكاة، وبر الوالدين.

٢ ـ صبر عن معاصي الله عز وجل، والمراد به : حبس النفس عن ارتكاب المعصية، ومنعها من الاسترسال مع الهوى، وذلك كالصبر على منع النفس من النظر الحرام، ومجاهدتها في ترك المال الحرام، والصبر على ترك الغيبة وأصحابِ السوء.

٣ ـ صبر على أقدار الله المؤلمة، والمراد به : حبس النفس عن الجزع والتسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن فعل ما لا ينبغي، كلطم الخدود، وشق الثياب، ونحوها، وذلك كالصبر على فقد أخ أو قريب، أو فقد مال، أو على مرض، ويدخل فيه أيضاً : الصبر على أذى الناس.
وضده : التسخّط، والتشكي، واستبطاء الفرج واليأس من روح الله، والجزع الذي يؤدي إلى فوات الأجر، وتضاعف المصيبة، ونقصان الإيمان.

(١) رواه الطبراني في الكبير ٩/ ١٠٤ رقم (٨٥٤٤)، والحاكم ٢/ ٤٤٦، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حجر عن ابن مسعود موقوفاً، انظر : تغليق التعليق ٢/ ٢٢، وفتح الباري ١/ ٤٨، أول كتاب الإيمان.
(٢) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص ١٤٠، وفيه شرح هذه الجملة وبيان معناها مفصلا.



تفاوت مراتب الصبر

والصبر على الطاعات، وعن المحرمات، أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة، صرّح بذلك السلف، كسعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وغيرهما[1]، ثم إن الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل[2].

الصيام صبر

من أفضل أنواع الصبر : الصيام، فإنه يجمع أنواع الصبر الثلاثة، فهو صبر على طاعة الله، وصبر عن معصيته؛ لأن العبد يترك شهواته لله، ونفسه قد تنازعه إليها، وفيه أيضاً صبر على الأقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش، ولذلك كان النبي ﷺ يسمي شهر الصيام شهر الصبر، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر»[3].

الصبر يحتاج إلى مجاهدة

والصبر يحتاج إلى مجاهدة وتصبّر، سواء كان ذلك لفعل الطاعات، أو لترك المنكرات، أو للصبر على المكاره والآفات، أو أذى الناس، ولا بد أن المرء واجد لذلك ثقلاً، لكنه باستمراره في طريق الصبر يعينه الله على تحصيله، ثم يجد عاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة. قال ﷺ : «ومن يتصبر يصبره الله»[4].

وهو أيضاً محتاج إلى استعانته بالله تعالى، فهو المصبّر والمعين، كما قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ الآية[5]، يعني : إن لم يصبّرك هو لم تصبر، وقال فيما حكاه من قول موسى لقومه : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ... ﴾ الآية[6].

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم، شرح الحديث رقم (٢٣)، وعدة الصابرين ص ٥٦ .
(٢) مدارج السالكين (منزلة الصبر)، وعدة الصابرين ص ٥٦ . (٣) رواه أحمد ٢/ ٢٦٣ ، ٣٨٤، والنسائي ٤/ ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٤) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (الفتح ٣/ ٣٣٥)، رقم (١٤٦٩)، ومسلم، في الزكاة، باب فضل التعفف والصبر ٢/ ٧٢٩ رقم (١٠٥٣).
(٥) آية ١٢٧ من سورة النحل. (٦) آية ١٢٨ من سورة الأعراف.



صبر الكرام، وصبر اللئام

الكريم يصبر في طاعة الرحمن، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر شيء في طاعة أهوائهم وشهواتهم، وأقل الناس صبرًا في طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم صبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه ومرضاة عدوّه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربـه[1].

الصبر على المسرّات[2]

يفهم الكثيرون أن الصبر خاص بالمكاره، وهذا فهم خاطئ، فكما أن على العبد الصبر على المكاره فعليه الصبر على النعم والمسرّات، بل إن الصبر عليها أشق من الصبر على المكاره، ولذلك لا يستعمله هنا إلا الصادقون، ويغفل عنه سواهم، وسبب ذلك أنه مقرونٌ بالقدرة والتمكّن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والعبـد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء، قـال تعالـى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ ﴾[3]. ويكون الصبر على النعمة والمسرة في وجوه :

(أ) ألّا يركن إليها، ولا يغتر بها، ولا تحمله على البطر والأشر[4]، والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

(ب) ألا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها حتى تنقلب إلى أضدادها، أو يصاب بالغفلة فينهمك في النعمة حتى لا يعرف حقها من باطلها.

---

(١) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص ٧٤ .

(٢) انظر : عدة الصابرين ص ٨٧، وطريق الهجرتين ص ٢٦٥، كلاهما لابن القيم.

(٣) الآيات ٩ ـ ١١ من سورة هود، وكلام ابن تيمية في : مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠ .

(٤) البَطَر : الطغيان وعدم شكر النعمة، والأشر بمعناه.

(جـ) أن يصبر على أداء حق الله فيها، ولا يضيعه.

(د) أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يمكن نفسه من كل ما تهواه فتوصله للباطل، وتوقعه في الحرام.

من آداب الصبر

١ ـ أن يكون الصبر في أول حدوث المصيبة، قال ﷺ : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[١].

٢ ـ الاسترجاع عند المصيبة، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢].

وفي حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله : إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها»، قالت : فلما مات أبو سلمة، قلت : أيّ المسلمين خير من أبي سلمة ؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ[٣].

٣ ـ سكون الجوارح واللسان عند حدوث المصيبة، أما البكاء بدون نياحة، ورفع صوت فجائز.



الأسئلة

س١ : ما الصبر لغة، واذكر أنواعه، مع تعريف كل نوع، ذاكراً مثالاً عليه.

س٢ : يتعلق بالصبر جميع الأحكام التكليفية الخمسة، وضح ذلك مع التمثيل.

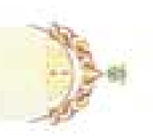
س٣ : (شهر الصبر) ما المراد به ؟ ومن سماه بذلك ؟ ولماذا ؟

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب زيارة القبور (الفتح ٣/ ١٤٨)، رقم (١٢٨٣)، ومسلم، في الجنائز، باب في الصبر على المصيبة ٢/ ٦٣٧ رقم (٩٢٦).

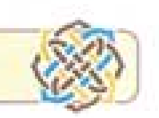
(٢) آية ١٥٦ من سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة ٢/ ٦٣١ رقم (٩١٨).



الذنوب والمعاصي وآثارها

المراد بالذنوب والمعاصي : ترك الواجبات الشرعية، أو ارتكاب المحرمات بالشرع. ويطلق على المعصية : الخطيئة، والإثم، والسيئة، وغير ذلك.



خطرها والتحذير منها

إن خطر الذنوب يكمن في كونها مبعدة عن الله تعالى، وعن رحمته، مقربة إلى سخطه والنار، وكلما استمر العبد في كسب الخطايا ابتعد عن مولاه أكثر، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة تحذر من الذنوب، وتبين عقوباتها وما أصاب الأمم الماضية بسبب ذنوبها، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ... ﴾ الآية[1]، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ... ﴾ الآية[2].

وقال ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات ...» الحديث[3]، فأمر باجتناب الذنوب، وذلك أبلغ مما لو نهى عن اقترافها؛ لأن الاجتناب يقتضي ترك الذنب وما يوصل إليه، ثم أخبر ﷺ أنها مهلكة لمن واقعها.

أنواع الذنوب

تنقسم الذنوب إلى قسمين : كبائر وصغائر، والأدلة على هذا التقسيم كثيرة، منها :

(أ) من القرآن : قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ... ﴾ الآية[4].

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ... ﴾ الآية[5].

(ب) من السنة قوله ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارةٌ لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر»[6].

---

(١) آية ٤٩ من سورة المائدة. (٢) آية ١٠٠ من سورة الأعراف.

(٣) رواه البخاري في الوصايا، باب (٢٣)، (الفتح ٥/ ٣٩٣)، رقم (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩٢ رقم (٨٩).

(٤) آية ٣١ من سورة النساء. (٥) آية ٣٢ من سورة النجم.

(٦) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس... مكفرات لما بينهن ١/ ٢٠٩ رقم (٢٣٣).

أولاً : الكبائـر

هناك معاصٍ كثيرة جاء في الأدلة اعتبارها من الكبائر صراحة، مثل : الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرّم الله، والسحر، وشهادة الزور، وغير ذلك. وأما ما لم يرد دليل خاص بتسميته كبيرة، فقد اجتهد العلماء في وضع ضابط تعرف به الكبيرة من غيرها، فقالوا في تعريف الكبيرة : كل معصية دل الدليل على تغليظ تحريمها، إما بلعنٍ أو غضبٍ، أو عذابٍ، أو نارٍ، أو حدٍّ في الدنيا، ونحو ذلك[1].

ثانياً : الصغائر

الصغيرة هي : ما لم ينطبق عليها حد الكبيرة، ومن أمثلتها : الخروج من المسجد بعد الأذان لغير حاجة، وترك إجابة دعوة العرس بدون عذر، وترك ردّ السلام، وعدم تشميت العاطس الذي حمد الله، وغير ذلك.

التحذير من الاستهانة بالصغائر

مما يدل على خطورة الاستهانة بالصغائر ما يلي :

(أ) أن من الواجب على المسلم ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله، لا فرق في ذلك بين الصغائر والكبائر، قال ﷺ : «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[2].

(ب) أن ترك الذنب تعظيم لحق الله تعالى على العبد، وتعظيم لما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ولذلك قال بلال بن سعد التابعي رحمه الله تعالى : لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت[3].

---

(١) توسع الهيتمي أول كتابه : (الزواجر عن اقتراف الكبائر) في ذكر أقوال العلماء في المسألة، فانظره، والحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢/ ١٨٣، شرح الحديث رقم (٦٨٥٧)، والإمام ابن القيم في مدارج السالكين (منزلة التوبة)، والإمام الطبري في تفسيره (سورة النساء ـ ٣١)، وابن تيمية كما في مختصر الفتاوى المصرية ص ٤٩٥ ـ ٤٩٧ .

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (الفتح ١٣/ ٢٥١) رقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ ٤/ ١٨٣١ رقم (١٣٣٧).

(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩١ (في ترجمة بلال بن سعد).

(جـ) أنه قد ورد التحذير من التهاون بالصغائر بنصّ خاص، وذلك في قوله ﷺ : «إياكم ومحقّرات الذنوب، فإنما مثل محقّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[1].

(د) أن الصغيرة قد تجر إلى غيرها من صغائر أو كبائر، وهذا إنما يكون من استدراج الشيطان للعبد، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ... ﴾ الآية[2].

(هـ) أن الصغائر تتحول إلى كبائر بعدة أسباب، منها :

١ ـ الاستمرار عليها والاعتياد لها، قال ابن عباس رضي الله عنهما : «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»[3].

٢ ـ الفرح بفعلها أو الافتخار به، قال ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يُصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويُصبح يكشف ستر الله عنه»[4].

٣ ـ أن تصدر عمن يقتدي به الناس، لأنه بفعله يتسبب في إغوائهم، فيكون عليه وزر نفسه ومثل أوزارهم.



آثار المعاصي والذنوب

للذنوب والمعاصي آثار سيئة على الفرد والمجتمع :

(أ) على الفرد : وتظهر آثارها على الفرد بظلمة القلب، وعدم انشراحه، وابتلاؤه بالمصائب[5] والمشاكل، وقلة التوفيق.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣٣١ وقال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن (فتح الباري شرح الحديث رقم ٦٤٩٢). (٢) آية ٢١ من سورة النور.

(٣) رواه الطبري في تفسير الآية ٣١ من سورة النساء، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦/ ١٠٤٠، ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيريهما، والبيهقي في الشعب (انظر : الدر المنثور ـ تفسير سورة النساء ٣١)، وروي مرفوعا ولا يصح. انظر : كشف الخفاء ٢/ ٣٦٤ .

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه (الفتح ١٠/ ٤٨٦)، رقم (٦٠٦٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ٤/ ٢٢٩١ رقم (٢٩٩٠).

(٥) ليعلم أن المصائب التي تصيب العبد قد تكون عقوبة، وقد تكون ابتلاء واختبارا ليصبر الإنسان وترتفع درجته عند الله، وذلك كالذي يحصل للأنبياء والصالحين، وإنما يعرف الفارق بينهما بمدى التزام المصاب بالشرع من عدمه (ينظر للفائدة : مدارج السالكين ـ منزلة المحاسبة).



وقد يُرى على بعض العصاة آثار النعمة والسرور، وإنما هذا استدراج من الله تعالى لهم حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[2]، وقال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ...﴾ الآية[3].

(ب) على المجتمع: وتظهر آثارها على المجتمع بكثرة الأمراض والأوبئة، واختلال الأمن وظهور الخوف وفقد الطمأنينة، وقلة نزول الأمطار أو كثرتها كثرة مؤذية، وظهور الزلازل والبراكين، والحروب المدمّرة وغير ذلك.

ولا يغتر المسلم بظهور بعض النعمة عند الكافرين، فإن ذلك إما استدراج من الله لهم، أو لأن الله تعالى عجّل لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ[4].



كيفية الوقاية والتخلص منها

واجب المجتمع:

على المجتمع محاربة الذنوب والمعاصي بأنواعها، والتكاتف على إزالتها، والتناصح فيما بينهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتساهل بذلك خطر عليهم من سخط الله وعقوبته، ومن دلائل ذلك ما يلي:

(أ) قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[5].

---

(١) آية ٤٥ من سورة القلم. (٢) آية ١٧٨ من سورة آل عمران.

(٣) آية ١٠٢ من سورة هود، والحديث رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة هود (الفتح ٨/ ٣٥٤)، رقم (٤٦٨٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٧ رقم (٢٥٨٣).

(٤) جزء من خبر طويل، رواه البخاري في المظالم، باب الغرفة والعُلّية المشرفة (الفتح ٥/ ١١٦) رقم (٢٤٦٨)، ومسلم، في الطلاق، باب في الإيلاء ٢/ ١١١٣ رقم (١٤٧٤).

(٥) الآيات ٧٨، ٧٩ من سورة المائدة، واقرأ أيضاً: الآية ١٦٣ وما بعدها من سورة الأعراف.

(ب) قال ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ مَن فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1].

واجب الفـرد :

وعلى المسلم المبادرة بالتوبة النصوح، وكثرة الاستغفار، ودُعاء الله تعالى أن يغفر ذنوبه، واستشعار مراقبة الله تعالى، والاستكثار من فعل الحسنات المكفرة للسيئات، كما أن عليه البعد عن الأسباب الموقعة في الذنوب والتي منها: الجهل بحق الله تعالى، والتهاون بالمعصية، ومقارنة العصاة، والفراغ وضعف الإيمان*.



س١ : ما أنواع الذنوب ؟ ثم اذكر الدليل على ذلك.

س٢ : اذكر ما يدل على خطورة الاستهانة بالصغائر، واستشهد لما تقول.

س٣ : اذكر آثار المعاصي على المجتمع.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة (الفتح ٥/ ١٣٢) رقم (٢٤٩٣).

* للاستزادة في الموضوع ينظر: الجواب الكافي، لابن القيم، والمعاصي وآثارها، لحامد المصلح.





التوبة*



معنى التوبة

التوبة هي : الرجوع إلى الله تعالى بالتزام فعل ما يحبّ، وترك ما يكره.



حكمها

التوبة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع.

(أ) أما الكتاب، فقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ... ﴾ الآية[2].

(ب) أما السنة، فقال ﷺ : «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[3].

(جـ) أما الإجماع فقد أجمع العلماء على وجوب التوبة، كما نقله غير واحد من أهل العلم.



وجوب التوبة على الفور

من خلال ما تقدم من الأدلة يتبين لنا أن التوبة واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها لأي سبب من الأسباب، فالواجب المبادرة إليها وترك التسويف بها، فإنه من مصائد الشيطان ليبقى المسكين في حبائله.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها سواء أكانت المعصية صغيرة أم كبيرة[4].

---

* ينظر في الموضوع : مدارج السالكين، لابن القيم (منزلة التوبة)، وغذاء الألباب للسفاريني ٢/ ٥٦٨، ورياض الصالحين للنووي، باب التوبة، ومختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبدالرحمن المقدسي ص ٣٢١ .

(١) آية ٣١ من سورة النور.　　(٢) آية ٨ من سورة التحريم.

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ٤/ ٢٠٧٦ رقم (٢٧٠٢).

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧/ ٥٩، أول كتاب التوبة.



وجوب التوبة من جميع الذنوب

التوبة واجبة من جميع الذنوب، وإن تاب العبد من ذنب دون آخر صحت توبته مما تاب منه، ويبقى عليه وجوب التوبة من الذنب الآخر.



أهمية التوبة وفضلها

العبد مأمور باتباع الصراط المستقيم، وهو مع إرادته الاستقامة لا بد أن ينحرف عنها في بعض أحيانه؛ لما في طبيعة البشر من الضعف والهوى، وليس من طريق للعودة إلى الاستقامة الواجبة إلا طريق التوبة. وللتوبة فضائل كثيرة، منها:

(أ) محبة الله للتائبين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1].

(ب) مغفرته لسيئاتهم وتكفيره لخطاياهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية[2].

(جـ) أن الله تعالى ـ من رحمته بعباده ـ يفرح بتوبة عبده، قال ﷺ: «لَلَّه أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته ـ فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال ـ من شدة الفرح ـ: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[3].



شروط صحة التوبة

التوبة النصوح هي المشتملة على الشروط التالية:

١ ـ الإقلاع عن الذنب، فإن كان الذنب بفعل محرم تَرَكَه، وإن كان تَرْكَ واجب فعلَه.

٢ ـ الندم على ما فات من مقارفة الخطايا، فمن كان إذا تذكر ذنبه فرح به، وتمنى أن تعود تلك الأيام فليس بتائب في الحقيقة.

---

(١) آية ٢٢٢ من سورة البقرة. (٢) آية ٨ من سورة التحريم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة (الفتح ١١/ ١٠٢)، رقم (٦٣٠٨)، (٦٣٠٩)، ومسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها ٤/ ٢١٠٤ رقم (٢٧٤٧)، واللفظ له.

٣ ـ العزم الصادق على عدم العودة إلى الذنب، فمن ترك الذنب وفي نيته أن يعاوده غداً، فليس بتائب على الحقيقة.

٤ ـ أن يكون تركها لأجل الله تعالى، لا لخوف أو مصلحة أو غير ذلك.

وإن كان الذنب في حقّ آدمي فلا بد من شرط آخر، وهو : أن يعيد الحق لصاحبه، أو يتحلل منه، فمن سرق مال شخص لزمه إعادته إليه، إلا إن سامحه، فإن لم يوافقه حيًّا أعطاه ورثته، فإن لم يوافقهم ـ بعد البحث ـ تصدق به عن صاحبه.

وليس بشرط مواجهةُ صاحب الحق؛ لما قد يحصل به من الأذى، ولكن يعيد الحق بأي طريق مناسب.

ما على العبد بعد التوبة

وعلى العبد إذا تاب أن يستكثر من الطاعات وذكر الله تعالى، وأن يدعو الله أن يثبته على التوبة ويقبلها منه.

وعليه مجانبة كل ما يدعوه إلى معاودة الذنب من صاحب، أو حيٍّ، أو بلد، ومما يشهد لهذا المعنى من النصوص ما ذكره النبي ﷺ في قصة (قاتل المئة) الذي تاب، فقال له العالم : «انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»[1].

زمن التوبة

المرء محتاج إلى التوبة دائما؛ لأنه لا يخلو أحد من تقصير بحق الله تعالى، كما قال ﷺ : «كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون»[2].

وكان النبي ﷺ ـ وهو المعصوم ـ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مئة مرة، كما تقدم. وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3].

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٤/ ٢١١٨ رقم (٢٧٦٦)، وأصله في البخاري أيضاً، لكن بلفظ آخر، كتاب الأنبياء، باب (٥٤) (الفتح ٦/ ٥١٢)، رقم (٣٤٧٠).

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٤٩)، ٤/ ٦٥٩ رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠، رقم (٤٢٥١)، واستغربه الترمذي، وقوّاه الحافظ في البلوغ ص ٣٠٢ .

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (الفتح ١١/ ١٠١)، رقم (٦٣٠٧).

فزمنها جميع حياة ابن آدم، كلما قارف العبد ذنبا أو قصّر في واجب، قال ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[1].

الزمن الذي لا تُقبَل فيه التوبة

وباب التوبة مفتوح ما لم تكن في زمن لا تقبل فيه، وهو ما يلي:

١ ـ وقت الاحتضار، لأنه إذا بلغت الروح الحلقوم لم تقبل التوبة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ـ﴾ الآية[2].

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر»[3].

٢ ـ إذا طلعت الشمس من مغربها، قال ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[4].



الأمور الصارفة عن التوبة

١ ـ الاعتماد على رحمة الله تعالى وعفوه مع الغفلة عن عقابه، كقول كثير من المذنبين: الله غفور رحيم، ولم يتدبروا قول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[5].

٢ ـ التسويف، وطول الأمل، وتأجيل التوبة إلى حين الكبر.

٣ ـ الانهماك في متع الحياة الدنيا، والغفلة عن الآخرة، ونسيان الموت، وقد قال ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذّات»[6]، يعني الموت، وقال: «... زوروا القبور فإنها تذكّر الموت»[7].

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ٤/ ٢١١٣ رقم (٢٧٥٩).

(٢) آية ١٨ من سورة النساء.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٩٩)، ٥/ ٥٤٧ رقم (٣٥٣٧)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في أبواب الزهد، باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ رقم (٤٢٥٣)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ٤/ ٢٠٧٦ رقم (٢٧٠٣).

(٥) آية ٤٩، ٥٠ من سورة الحجر.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت ٤/ ٥٥٣، رقم (٢٣٠٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٢ رقم (٤٢٥٨).

(٧) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل زيارة قبر أمه ٢/ ٦٧١ رقم (٩٧٦).



٤ ـ استصغار الذنب واحتقاره، وقول المذنب : «أنا ما فعلت شيئا»، ويرى فعله صغيراً لا يؤاخذ به، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا» وأشار الراوي بيده فوق أنفه[1]. وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ : «إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»[2].

٥ ـ الاغترار بالحسنات التي يفعلها العبد، ونسيان الذنوب، فيقول ـ مُعْجَبا بعمله ـ : أنا أفعل كذا، وأنا أقوم بكذا، غير متدبر لقول الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

٦ ـ مصاحبة المنهمكين في الذنوب، ولو لم يكن فيها من المفاسد إلا أنهم يهوّنون الذنب بقولهم وفعلهم، ويثبّطون عن التوبة.

٧ ـ ظنّ المسرف على نفسه أن الله لا يقبل توبته، وأنه لابد وأن يعذبه، وهذا من تسويل الشيطان للمسكين، وهو قنوط من رحمة أرحم الراحمين، قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[4].



الأسئلة

س١ : ما حكم التوبة ؟ اذكر بعض الأدلة على ذلك.

س٢ : متى تجب التوبة ؟ وما زمنها ؟ ومتى لا تقبل مع ذكر الدليل؟

س٣ : من الأسباب الصارفة عن التوبة : القنوط من رحمة الله تعالى، وضح هذا المعنى، وكيف تعالجه في نفس صاحبه ؟ ثم استشهد بالقرآن الكريم لما تقول.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب التوبة (الفتح ١١/ ١٠٢) رقم (٦٣٠٨)، موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه.

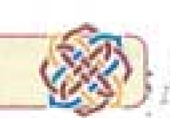
(٢) رواه البخاري في الرقاق باب ما يتقى من محقرات الذنوب رقم (٦٤٩٢).

(٣) آية ١٧ من سورة الحجرات.

(٤) آية ٥٣ من سورة الزمر.



الــــوَرَع



تعريف الــورع

الــورع لـغـة : وَرِع يـرَع وَرَعًـا، بمعنى : تحرج وتوقّى عن المحارم، فهو ورعٌ ومتورّع.

وشـرعــاً : ترك ما يُخاف ضرره في الآخرة[1].

فضل الــورع

قال ﷺ : «كن ورعا تكن أعبد الناس»[2].

وقال : «فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[3].

أنواع الــورع

(أ) ورعٌ واجب، وهو الورع عن فعل المحرمات وترك الواجبات، وأمثلته لا حصر لها.

(ب) ورعٌ مستحب، وهو الورع عن فعل المكروهات وترك المستحبات، وأمثلته كثيرة لا حصر لها.

ويدخل فيه الورع عن الشبهة، ومن أمثلته قول النبي ﷺ : «إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها»[4].

وهذا الحديث أصل من أصول الورع، فالنبي ﷺ تحرم عليه الصدقة، وهذه التمرة احتمل فيها أمران : إما أن تكون من مال النبي ﷺ، أو من مال الصدقة المحرم عليه، فلما اشتبه عليه أمرها تركها تورّعا.

---

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (منزلة الزهد) عن ابن تيمية، وقال : هذه العبارة أحسن ما قيل في الورع.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد، باب الورع والتقوى ٢/ ١٤١٠ رقم (٤٢١٧)، والبيهقي في الزهد ص ٣١٠، وفي الآداب ص ٥٠٩، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٦٥، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٣٩، وابن أبي الدنيا في الورع رقم ٣، ١٦، وحسّن إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٩٢، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الزهد ص ٣٠٩، وفي الآداب ص ٥٠٨، وفي المدخل ص ٣٠٢، والبزار (كشف الأستار ١/ ٨٥)، والطبراني في الكبير ١١/ ٣٨، ورواه غيرهم عن غير واحد من الصحابة، وله طرق حسّن بعضها المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٩٣ .

(٤) رواه البخاري، في اللقطة، باب إذا وجد تمرة (الفتح ٥/ ٨٦)، رقم (٢٤٣٢)، ومسلم في الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ ٢/ ٧٥١ رقم (١٠٦٩).

ضوابط في الــورع

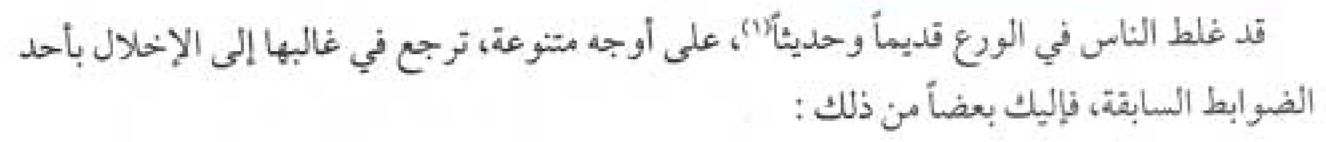
هذه بعض الضوابط التي لابد من معرفتها لتحقيق الورع المشروع، والإخلالُ بها أو ببعضها ينتج عنه ورع فاسد غير مشروع، إما إلى غلوّ مذموم، أو إلى تقصير ممنوع :

١ ـ الورع يكون في فعل الواجب، وترك المحرم، كما يكون أيضاً في فعل المستحب، وترك المكروه، ويكون أيضاً في ترك ما أصله مباح؛ إما لشبهة عارضة، وإما لخوف جَلْبِه مفسدةً، أو غير ذلك، مما قد يعرض للمباح، أما المباح المحض فلا يصلح فيه الورع؛ لأنه لا يُخاف ضرره.

٢ ـ أن يكون الورع صادرًا عن علم حاصل بالأدلة الشرعية؛ الكتاب والسنة، فورعٌ مصدره الجهل أو الاحتياط الفاسد، قد يؤدي إلى فساد أعظم من صلاحٍ يرتجى منه.

٣ ـ الموازنة بين المفاسد والمصالح، فما غلبت مصلحته فالورع فعله، وما غلبت مفسدته فالورع تركه.

أغلاط الناس في الورع



قد غلط الناس في الورع قديماً وحديثاً[1]، على أوجه متنوعة، ترجع في غالبها إلى الإخلال بأحد الضوابط السابقة، فإليك بعضاً من ذلك :

١ ـ فمن الناس من أخطأ في الورع، وقصّره على اجتناب المحرمات؛ دون فعل الواجبات، فتورّع عن الكذب، وكسب المال الذي فيه شبهة، ونحو ذلك، لكنه مع هذا ترك أمورًا واجبة عليه، كصلة الرحم، وحق الجار، وحق ذي السلطان، والعلم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

---

(١) يقع من الناس اليوم أمور يعدّونها من الورع، قد تكون صحيحة أو فاسدة، إلا أن الغالب أنها لا تعرف بهذا الاسم، كأنواع من التورّع في النجاسات، ومواضع الصلاة، ونحوها، بعضها من قبيل الوسوسة، والاحتياط الفاسد، وهو الذي لم يُبْنَ على الأدلة الشرعية.

وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإنّ ورَع الخوارج، والمعتزلة، وبعض الفرق الضالة كان من هذا الجنس، فتورعوا عن الظلم، وما اعتقدوه ظلمًا من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتى تركوا لأجل ذلك الواجبات الكبار، كالجمعة، والجماعة، والحج، والجهاد مع السلطان.

٢ ـ ومن الناس من كان ورعه في اجتناب المحرمات غير مبني على دليل شرعي، بل على ما تنفر منه نفسه، ويخالف هواها، ولأجل هذا تتولد عنده أوهام وظنون كاذبة، فيقع في الورع الفاسد مع ظَنّه صحة ما هو فيه.

ومن هؤلاء أهل الوسوسة في النجاسات، أو النية في العبادات، ونحو ذلك، وورعهم هذا الفاسد، مركّب من نوع دين مع ضعف علم، قد يتبعه ضعف عقل، وقد أنكر حال هؤلاء الأئمةُ كأحمد بن حنبل، وغيره.

ومن هذا النوع: الورع الذي ذمّه رسول الله ﷺ، ففي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسا من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيباً، فقال: «ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه، فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[1].

٣ ـ ومن الناس من حمله ورعه على ترك بعض الأمور، ناظرًا إلى جهة فساده، ولم يلحظ ما يعارضه من جهة الصلاح الراجح على المفسدة، وقد يحصل العكس، فيفعل بعض الأمور ناظرًا إلى جهة صلاحه دون أن يلحظ ما يعارضه من جهة الفساد الراجح على المصلحة.

فمن أمثلة الأول: من يترك الائتمام بالإمام الفاسق، فيفوت ما هو أعظم من ذلك، فيترك الجمعة والجماعة.

ومن أمثلة الثاني: من يرى أنه لا يمكن أداءُ واجب المناصحة للسلطان الظالم إلا بالقتال الذي فيه من الفساد وسفك الدماء أضعاف ما عند الحاكم من الظلم، ومثل: من يقدم على إنكار منكر، وهو يعلم أن صاحبه إذا أُنكر عليه زاد ضرره ومنكره إلى أعظم مما هو عليه.

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين (الفتح ١٣/ ٢٧٦)، رقم (٧٣٠١)، ومسلم، في الفضائل، باب علمه ﷺ بالله ٤/ ١٨٢٩ رقم (٢٣٥٦).



جمـــاع الـــورع

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]، فهذا يعم الترك لما لا يعني من: الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة شافية كافية في الورع[2].



أمثلة على ما ينبغي فيه الـورع

(أ) ورع الباطن: بترك العمل لغير الله، وتطهير القلب من الرياء.

(ب) الطعام والشراب: ومن أعظم الورع: الورع في المطاعم والمشارب، وذلك بتحري الحلال، والبعد عن الحرام، أو ما فيه شبهة لم تتبين.

(جـ) المنطق والكلام، ولشدته قال بعض السلف: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة[3].

(د) الورع في المشتبهات: والمراد بالمشتبهات: أمور بين الحلال والحرام، تشتبه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم من الحرام؟ أما الراسخون في العلم فلا يشتبه عليهم الأمر[4]، وذلك لأنها لا تكون مشتبهة في ذاتها؛ لأن الله قد بين الحلال والحرام، لكن تشتبه لمن لم يعلمها[5].

---

(١) رواه الترمذي في الزهد، باب (١١)، ٤/ ٥٥٨ رقم (٢٣١٧)، وابن ماجه في الفتن، باب كفّ اللسان في الفتنة ١٣١٦، رقم (٣٩٧٦)، وابن حبان رقم (٢٢٩)، وغيرهم، وحسّنه النووي في الأربعين (الحديث الثاني عشر)، وفيه اختلاف ذكره في جامع العلوم والحكم (شرح الحديث).

(٢) مدارج السالكين (منزلة الورَع).

(٣) مدارج السالكين (الورع).

(٤) قد يتبين الحكم لبعض دون بعض، بحسب الرسوخ في العلم والتمكن، ووضوح الأدلة، (انظر: فتح الباري ١/ ١٢٧ شرح حديث رقم ٥٢).

(٥) وقد تشتبه على الراسخين بعض الأمور، لكن لا من جهة حكمها، إنما من جهة مصدرها، وذلك كحديث التمرة المتقدم، حيث لم يشتبه على النبي ﷺ حكمها، لكن اشتبه عليه مصدرها فتركها (انظر: جامع العلوم والحكم، الحديث السادس)

(هـ) في البيع والشراء، ومن أمثلته : التورع عن بيع السلعة المعيبة مع إخفاء عيبها ولو لم يكن ظاهراً، فمن الورع بيانه وإن نزلت قيمتها، والورع في إعطاء البائع الدراهم الممزقة ووضعها بين السليمة حتى تختفي.

(و) التورع في الفتوى : وذلك بترك الإقدام عليها دون علم وتثبت.

(ز) الورع عن الخوض في أعراض الناس وأموالهم.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالورع لغة وشرعا ؟ مع ذكر دليل مشروعيته.

س٢ : ما أنواع الورع ؟ مع التمثيل لكل نوع بمثالين.

س٣ : اذكر خمسا من الصور التي يكون فيها الورع، وكيف يحصل التورّع فيها؟

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية